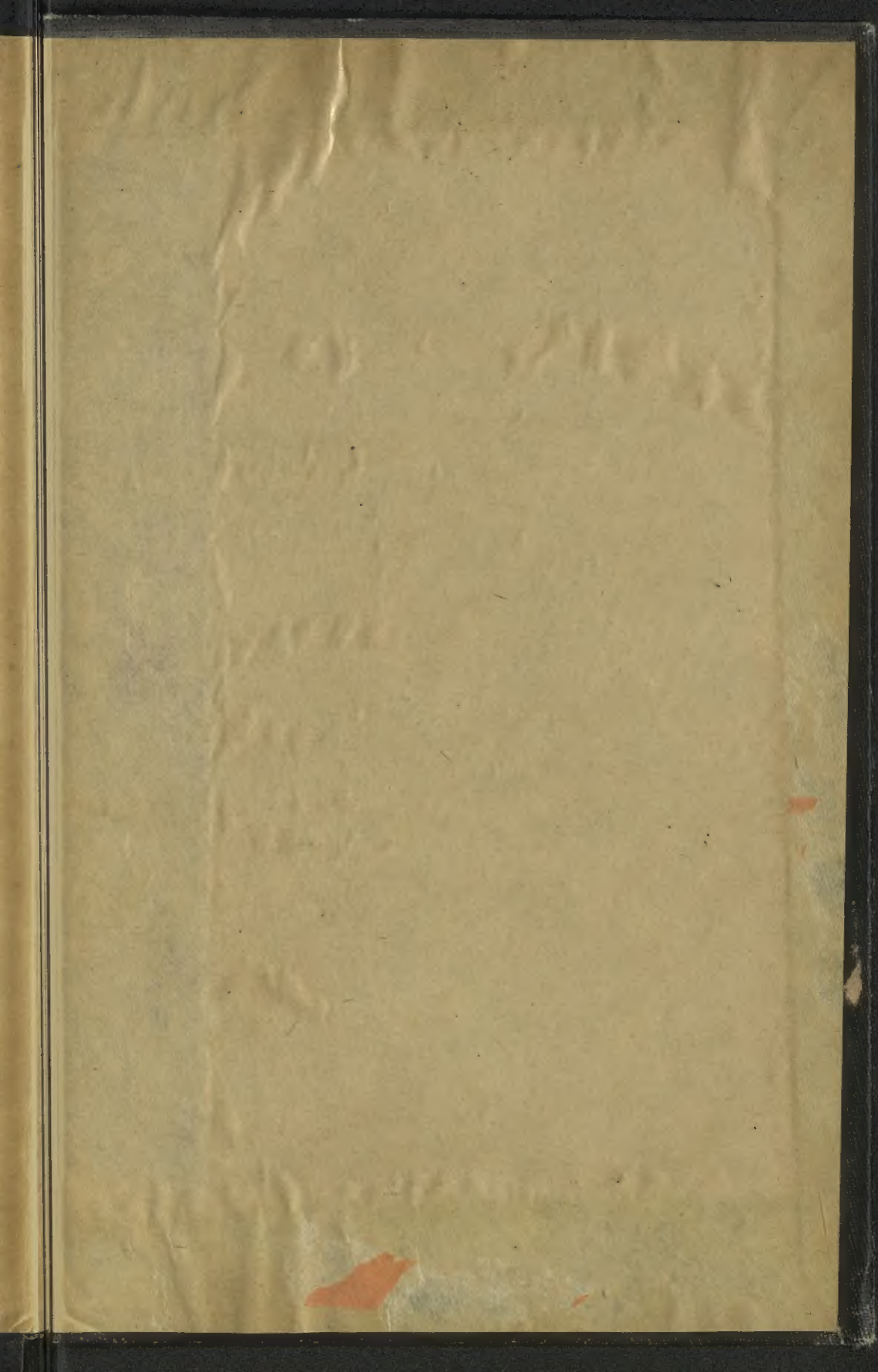


وجوب التقاضية على المسلمين

آل سوي



297.39:A31wA

آل سعدی ، عبد الرحمن بن ناصر .

وجوب التعاون بين المسلمين .

DEC 27

A696

63-1000

NOV 13

A69

10 MAR '88

DEC 23

A473

8 SEP 78

G-68-312

297.39

A31wA

~~Oct 78~~

~~JAN 81~~

~~1 JUN 1974~~

JAFET LIB.

~~15 AVE 1977~~

JAFET LIB.

~~18 APR 1978~~

JAFET LIB.

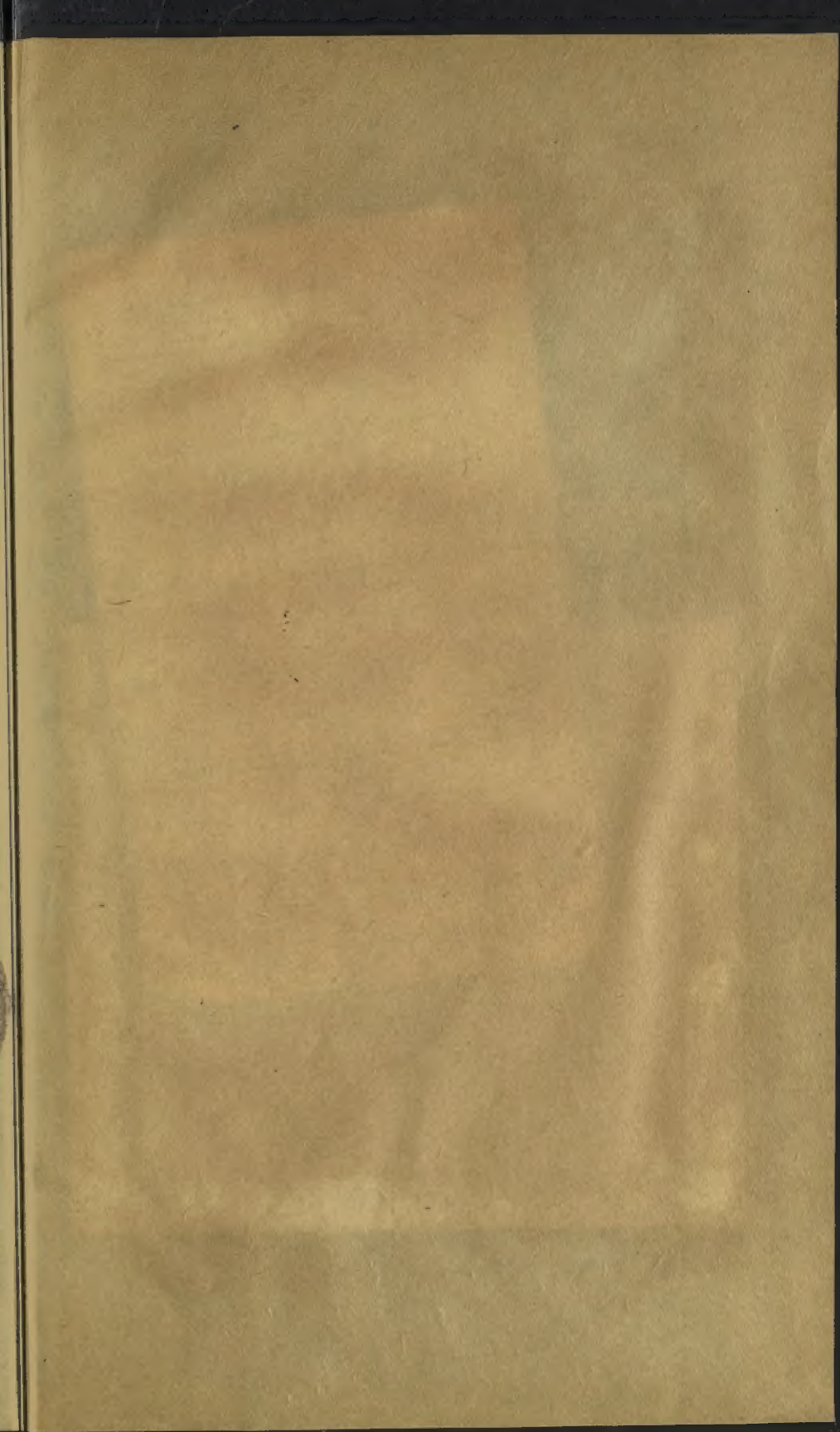
~~2 JAN 1983~~

JAFET LIB.

~~4 APR 1978~~

JAFET LIB.

~~1 APR 1988~~



وجوب التعاون بين المسلمين

وموضوع الجهاد الديني

وبيان كليات من براهين الدين

تأليف

العلامة الأستاذ

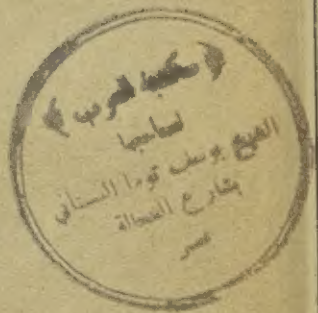
الشيخ محمد الرحمن بن ناصر آل سعد

علامة القصيم بعنيزة نجد

طبع على نفقة المؤلف

وحقوق الطبع محفوظة

١٣٦٨



المطبعة السلفية - ومكتبتها



وال
وال
محمد
والا

وو
وعلى
النفاء
الار

والع
من
الش
التعا
ال



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * أحمده على ما له من صفات العظمة والكبرياء والجلال * وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة في جميع الاوقات ، وفي الغدو والآصال * وأصلي على محمد أكل الخلق في جميع الخصال * اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وأشرف آل * وعلى التابعين لهم في العقائد والأخلاق والأقوال والأفعال * وسلم تسليما

أما بعد فهذه رسالة تتضمن التنبيه على واجب المسلمين نحو دينهم ، ووجوب التعاون بينهم في جميع المصالح والمنافع الكلية الدينية والدنيوية ، وعلى موضوع الجهاد الشرعي ، وعلى تفصيل الضوابط الكلية في هذه المواضع النافعة الضرورية ، وعلى البراهين اليقينية في أن الدين عند الله هو دين الاسلام

وجوب التعاون على جميع المنافع الكلية وخصوصا الجهاد

قال الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ فالبر اسم جامع لكل ما أمر الله به ورسوله ، وأحبه الله ورسوله ، من التحقق بمقائد الدين وأخلاقه ، والعمل بآدابه وأقواله وأفعاله ، من الشرائع الظاهرة والباطنة ، ومن القيام بحقوق الله وحقوق عباده ، ومن التعاون على الجهاد في سبيله اجمالا وتفصيلا ، فكل هذا داخل في التعاون على البر

ومن التعاون على التقوى التعاون على اجتناب وتوق ما نهى الله ورسوله عنه من الفواحش الظاهرة والباطنة ، ومن الاثم والبغى بغير الحق ، والقول على الله بلا علم ، بل على ترك الكفر والفسوق والعصيان . ويدخل في ذلك التعاون على جميع الوسائل والأسباب التي يتق بها ضرر الأعداء ، من الاستعداد بالأسلحة المناسبة للوقت ، وتعلم الصنائع المعينة على ذلك ، والسعى في تكميل القوة المعنوية والمادية المعينة على ذلك . قال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ فيدخل في هذا الاستعداد بكل المستطاع من قوة عقلية وسياسية وصناعية ، وتعلم الآداب العسكرية ، والنظام النافع ، والرمي والركوب ، والتحرز من الأعداء بكل وسيلة يدركها المسلمون ، واتخاذ الحصون الواقية . وقد أمر الله ورسوله بجهاد الكفار المعتدين - في آيات كثيرة وأحاديث متنوعة - بالنفس والمال والرأى ، وفي حال الاجتماع ، وفي كل الأحوال . والأمر بذلك أمر به وبكل أمر يعين عليه ويقويه ويقوّمه ، وأخبر بما للمجاهدين في سبيله من الأجر والثواب العاجل والآجل ، وما يدفع الله به من أصناف الشرور ، وما يحصل به من العزّ والتمكين والرفعة ، وما في تركه والزهد فيه من الذلّ والضرر العظيم ، وتوعد الناكثين عنه بالخذلان والسقوط الحسى والمعنوى ، وببين لهم الطرق التي يسلكونها في تقوية معنويتهم ، فانه حشهم على التآلف والاجتماع ، ونهاهم عن التباعد والتعادي والافتراق . وذلك أن حقيقة الجهاد هو الجهد والاجتهاد في كل أمر يقوّى المسلمين ويصلحهم ويلمّ شعشهم ويضمّ متفرقهم ويدفع عنهم عدوان الأعداء أو يخففه بكل طريق ووسيلة

أقسام الجهاد وأنواعه

الجهاد نوعان جهاد يقصد به صلاح المسلمين واصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شئونهم الدينية والدنيوية وفي تربيتهم العلمية والعملية

وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه ، وعليه يتأسس النوع الثاني ، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم . وهذا نوعان : جهاد بالحجة والبرهان واللسان ، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان .
هذا يجمل أنواعه على وجه التاصيل . أما التفصيل فنقول :

الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الالفه واتفاق الكلمة

قال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ وقال ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهم ، فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهم بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ وقال ﷺ في الحديث الصحيح « كونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يكذبه ولا يخذله » وقال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد » الى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل العظيم ، فإن من أعظم الجهاد السعى في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية ، في جمع أفرادهم وشعوبهم ، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة

ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الامر جميع طبقات المسلمين من العلماء والامراء والكبراء وسائر الأفراد منهم ، كل أحد يحدد بحسب إمكانه . فتمت

كانت غاية المسلمين واحدة وهي (الوحدة الاسلامية) وسلكوا السبل الموصلة اليها ، ودافعوا جميع الموانع المعوقة والحائلة دونها ، فلا بد أن يصلوا الى النجاح والفلاح .

ومما يعين على هذا الاخلاصُ وحسن القصد فيما عند الله من الخير والثواب ، وأن يعملوا أن كل سعى في هذا الأمر من الجهاد وفي سبيل الله ومما يقرب اليه والى ثوابه . وأن المصلحة في ذلك مشتركة ، فالمصالح السكيات العامة تقدم على المصالح الجزئيات الخاصة . ولهذا يتعين عليهم أن لا يجعلوا الاختلاف في المذاهب أو الانساب أو الأوطان داعياً الى التفرق والاختلاف فالرب واحد ، والدين واحد ، والطريق لاصلاح الدين وصلاح جميع طبقات المسلمين واحد ، والرسول المرشد للعباد واحد ، فلهذا يتعين أن تكون الغاية المقصودة واحدة . فالواجب على جميع المسلمين السعى التام لتحقيق الآخرة الدينية والرابطة الايمانية ، فتي عملوا وتحققوا ذلك ، وسعى كل منهم بحسب مقدوره ، واستعانوا بالله وتوكلوا عليه ، وسلكوا طرق المنافع وأبوابها ، ولم يخلدوا الى الكسل والخور واليأس ، نجحوا وأفلحوا . فأن الكسل والخور واليأس من أعظم موانع الخير ، فانها منافية للدين وللجهاد الحقيقي . فمن استولى عليه الكسل والخور لم ينهض لمكرمة . ومن أيس من تحصيل مطالبه انشلت حركاته ومات وهو حي . وهل آخر المسلمين في هذه الاوقات إلا تفرقهم ، والتعاضد بينهم ، وخورهم ، وتقاعدهم عن مصالحهم والقيام بشئونهم ، حتى صاروا عالة على غيرهم . ودينهم قد حذرهم عن هذا أشد التحذير ، وحشهم على أن يكونوا في مقدمة الأمم في القوة والشجاعة ، والصبر والمصابرة ، والمثابرة على الخير ، والطمع في إدراكه ، وقوة الثقة بالله في تحقيق مطالبهم ، ودفع مضارهم ، وكال التصديق بوعد الله لهم بالنصر اذا نصره ، وبالنجاح اذا سلكوا سبيله ، وبالاعانة والتسديد إذا كمل اعتمادهم عليه ﴿ إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ﴾

الفرق العظيم بين رجال الدين وبين المخذّلين المرجفين

قال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾ هذا نعمت رجال الدين : الصدق الكامل فيما عاهدوا الله عليه من القيام بدينه وانهاض أهله ، ونصره بكل ما يقدرون عليه من مقال ومال وبدن وظاهر وباطن . ومن وصفهم الثبات التام على الشجاعة والصبر ، والمضى في كل وسيلة بها نصر للدين . فمنهم الباذل لنفسه ، ومنهم الباذل لماله ، ومنهم الحاث لاخوانه على القيام بكل مستطاع من شؤون الدين ، والساعى بينهم بالنصيحة والتأليف والاجتماع ، ومنهم المنشط بقوله وجأه وحاله ، ومنهم الفتى الجامع لذلك كله ، فهؤلاء رجال الدين وخيار المسلمين : بهم قام الدين وبه قاموا ، وهم الجبال الرواسى في إيمانهم وصبرهم وجهادهم ، لا يردّهم عن هذا المطلب رادّ ، ولا يصدّهم عن سلوك سبيله صادّ تتوالى عليهم المصائب والكوارث ، فيتلقونها بقلوب ثابتة ، وصدور منشحة لعلمهم بما يترتب على ذلك من الخير والثواب والفلاح والنجاح

وأما الآخرون وهم الجبناء المرجفون ، فبعكس حال هؤلاء . لا ترى منهم إعانة قولية ولا فعلية ولا جدية ، قد ملكهم البخل والجبن والياس ، وفيهم الساعى بين المسلمين بإيقاع العداوات والفتن والتفريق . فهذه الطائفة أضرت على المسلمين من العدو الظاهر المحارب ، بل هم سلاح الأعداء على الحقيقة . قال تعالى فيهم وفي أشباههم ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم يغويكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ﴾ أى يستحيون لهم تغريرا أو اغترارا . فعلى المسلمين الحذر من هؤلاء المفسدين فإن ضررهم كبير وشرهم خطير ، وما أكثرهم في هذه الأوقات التى اضطر فيها المسلمون الى التعلق بكل صلاح وإصلاح ، والى من يعينهم وينشطهم . فهؤلاء المفسدون يشبطون عن الجهاد فى سبيل الله ومقاومة الأعداء ، ويخذّرون أعصاب المسلمين

ويؤيسونهم من مجارة الامم في أسباب الرقي ، ويوهومهم أن كل عمل يعملونه لا يفيد شيئاً ولا يجدى نفعا . فهو لاء لا خير فيهم بوجه من الوجوه . لا دين صحيح ، ولا شهامة دينية ، ولا قومية ولا وطنية . لا دين صحيح ، ولا عقل رجيح . فليعلم هؤلاء ومن يستجيب لهم أن الله لم يكلف الناس إلا وسعهم وطاقتهم ، وأن للمؤمنين برسول الله أسوة حسنة ، فقد كان له ^{صلى الله عليه وسلم} حالان في الدعوة والجهاد : أمر في كل حال بما يليق بها ويناسبها ، أمر في حال ضعف المسلمين وتسلط الأعداء بالمدافعة ، والاقتصار على الدعوة الى الدين ، وأن يكف عن قتال اليد لما في ذلك من الضرر المربى على المصلحة . وأمر في الحالة الأخرى أن يستدفع شرور الأعداء بكل أنواع القوة ، وأن يسالم من تقتضى المصلحة مسالمتهم ، ويقاوم المعتدين الذى تقتضى المصلحة بل الضرورة محاربتهم . فعلى المسلمين الاقتداء بنبيهم في ذلك ، وهو عين الصلاح والفلاح

وجوب المشاورة في كل الامور الحكاية وفوائدها

قال تعالى ﴿ وشاورهم في الامر ﴾ وقال في وصف المؤمنين ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وهذا يشمل جميع الامور التى يحتاجونها ، وتتعلق بها منافعهم الدينية والدينية . فعلى المسلمين أن يتشاوروا في تقرير المصالح والمنافع ، وفي كيفية الوصول اليها ، وفي تقرير الخطط التى يتعين سلوكها في صلاح أحوالهم الداخلية واصلاحها بحسب الامكان ، وفي الحذر من أعدائهم ، ومقاومتهم وسلوك الطرق السلمية أو الحربية بحسب ما تقتضيه المصلحة وبحسب الاحوال والظروف الحاضرة . وأن يمدوا لكل أمر عدته ، وتجمع قواهم كلها وعزائمهم على ما انفقت آراؤهم على نفعه ومصالحته ، فإن المشاورة من أعظم الاصول والسياسات الدينية ، وفيها من الفوائد : امثال أمر الله ، وسلوك

الطريق التي يحبها الله حيث نعت المؤمنين بها ، وفيها الاقتداء برسول الله ﷺ فانه - مع كمال عقله ورأيه وتأيدته بالوحي - كان يشاور أصحابه في الامور المهمة * ومن فوائدها أنها من أكبر الاسباب لاصابة الصواب ، وسلوك الوسائل النافعة لاجتماع آراء الامة وأفكارها ، وتنقيحها وتصفيتها . مع أن الله يعينهم في هذه الحال التي فعلوا فيها ما أمرهم به ويسدّدهم ويؤيدهم * ومنها أن المشاورة تنوّر فيها الافكار ، وترقى المعارف والعقول ، فانها تمرين للقوة العقلية وتربية لها وتلقيح للاذهان واقتباس لبعضهم من آراء بعض * ومنها - أنه قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو أكثر ، واذا تقابل الصواب والخطأ ووزنتها العقول السليمة بالموازين العقلية التي لا تركز إلا إلى الحقائق الصحيحة ظهر الفرق بين الامرين ، ولا سبيل لذلك إلا بالمشاورة * ومنها أن المشاورة من أسباب الالفة والمحبة بين المؤمنين ، وشعور جميعهم أن مصالحهم واحدة مشتركة ، وتنبيه للأفكار والآراء على النافع والنافع ، وعلى الصالح والاصلاح ، فان ترك المشاورة يخمد الافكار وبضيع الفرص التي يضر تضييعها . ففتح باب المشاورة عون كبير في إصلاح الامور واكملها وتجنب المضار . وقد اتفق العقلاء على أن الطريق الوحيد لتحقيق الصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى ، والله قد أرشد المسلمين الى هذا الطريق ، وأن يسعوا في ترقية أحوالهم بها . وعليهم كيفية الوصول إلى كل أمر نافع ، فاذا تعينت المصلحة في أمر سلكوه ، وإذا ظهرت المضرة في طريق تركه . وإذا تشابهت عليهم المسالك وتقابلت المنافع والمضار رجحوا ما ترجحت مصلحته من فعل وترك ، فلا يدعون مصلحة داخلية ولا خارجية إلا بحثوا فيها وتشاوروا عليها وعملوا على ما اتفقت عليه آراؤهم ، وبذلك يمدون ويشكرون ويفلحون

وجوب الاستعداد للاعداء بكل قوة وأخذ الحذر منهم

قال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا ﴾ تضمنت هاتان الآيتان جميع ما يلزم المسلمين في مدافعة الأعداء ومقاومتهم ، وذلك بالاستعداد بالمستطاع من قوة عقلية وسياسية ومعنوية ومادية ، فدخل في ذلك تعلم أنواع الفنون الحربية ، والنظام السياسي والعسكري ، والاستعداد بالقواد المحنكين المدربين ، وصناعة الأسلحة ، وتعلم الرمي والركوب بما يناسب الزمان . وبأخذ الحذر من الأعداء بالتحرز والتحصن ، وأخذ الوقاية من شرهم . ومعرفة مداخلهم ومخارجهم ، ومقاصدهم وسياساتهم ، وعمل الأسباب والاحتياطات للوقاية من شرهم وضررهم وأن نكون منهم دائماً على حذر في وقت السلم فضلاً عن وقت الحرب ، فإن جهل المسلمين بشيء من المذكورات نقص كبير فيهم . وقوة لعدوهم . وإغراء له بهم . فعلى المسلمين الأخذ بكل معنى من معاني الحذر ، وبكل وسيلة من وسائل القوة والاستعداد ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . فإن جهل المسلمين بشيء من ذلك وكسلهم عن العمل ضرره كبير ، وبذلك يكونون عالة على غيرهم ، وهذا عنوان الذل ، فإن لله سنناً كونية جملها وسائل للعز والرفق ، من سلكها نجح ، ودين الاسلام يحث عليها غاية الحث

الوجوب يتعلق بقدر القدرة والاستطاعة

قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقال ﷺ « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . فالله تعالى أمر بالجهاد بالنفس والمال ، وبالأقوال والأفعال ، وبالمباشرة واعانة المباشرين ، وبالدعوة والتحريض والتشجيع . وقد

صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من لم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » فكل من في قلبه إيمان فلا بد أن يكون له نصيب من هذا الجهاد وكل أحد فرض عليه أن يقوم بما يستطيعه من ذلك ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . فأهل الحل والعقد والرياسة من الملوك والأمراء والوزراء ورجال الدول الإسلامية عليهم أن يسعوا أحث السعى لتحصيل القوتين القوة المعنوية والقوة المادية ، وذلك بالسعى لازالة الموانع والحوجز التي حالت بين المسلمين وبين اتفاقهم واجتماع كلمتهم ، وأن يفهموا العوامل التي فرقتهم والأغراض المتباينة التي شتمتهم ، وأن الأيدي الأجنبية تتوسل بذلك لتحصيل أغراضهم ، فتي فهموها وعملوا على ازالتها بجهد واجتهاد فلهم نصيب وافر من الجهاد في سبيل الله . وعلى أهل العلم من بيان فضل الجهاد ووجوبه ، وتبيين منسأفه الضرورية ، وحض الناس عليه ، والوعظ العام والخاص ، أعظم مما على غيرهم . وعليهم أن يبينوا للناس أن جميع حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ونفقاتهم المقوية للدين المعينة للمسلمين في دفع اعتداء المعتدى كل ذلك داخل في الجهاد في سبيل الله ، فتي عرف المؤمنون موضوع الجهاد وأنه اسم جامع لسلوك كل سبب ووسيلة في إعلاء كلمة الدين وفي مقاومة الأعداء والحذر والتجسس منهم نشطوا للقيام به وأخلصوا الله فيه والعمل الخالص نفعه كبير ، وأجره عظيم . وكذلك يجب على كل فرد من أفراد المسلمين أن يبدي مجهوده في نصر المسلمين بما يقدر عليه من قول وفعل ودعاية وحض لاخوانه عليه . وكل أحد عليه من القيام بوظيفته الخاصة ما ليس على الآخر : فالملوك والأمراء وقواد الجيوش عليهم من الواجبات بحسب مراتبهم ومقاماتهم ، والجيوش العاملة عليها النهوض بوظيفتها والقيام بالقوة والشجاعة والصبر ، وعلى أهل الأموال بذل ما يحتاج المسلمون اليه في المنافع الكلية ، وعلى أهل الصنائع النصح والجهد في تعليم الصنائع النافعة للجهاد ، فتي قام كل أحد بوظيفته لم يزلوا في رقي وصعود في دينهم ودنياهم وعزهم وشرفهم

وجوب الاجتهاد في فعل الاسباب النافعة

مع التوكل على الله والاستعانة به

قد أمر الله في عدة آيات بالقيام بجميع الأسباب النافعة ، والسعي في كل وسيلة فيها صلاح الأحوال . كما أمر في عدة آيات بالتركل عليه والاعتماد على حوله وقوته . فبالقيام بهذين الأصلين العظيمين تقرم الأمور كلها وتتم وتكمل . والنقص والقصور انما يجيء من الاخلال بهما أو بأحدهما ، فالتوكل الذي لا يصحبه جد واجتهاد ليس بتوكل ، وانما هو إخلال إلى الكسل وتقاعد عن الأمور النافعة ، كما أن العمل بالأسباب من دون اعتماد وتوكل على مسببها واستعانة به مآله الخسار والزهو والاعجاب بالنفس والخذلان . فالجمع بين التوكل على الله وبين الاجتهاد في فعل الأسباب هو الذي حث عليه الدين ، وهو الذي كان عليه سيد المرسلين ، وبهامة حقق الايمان ، وتقوى دعايم الدين ، وبهما تقوى معنوية المسلمين ، حيث اعتمدوا على رب البعاد ، وأدوا ما في مقدورهم من جد واجتهاد

معرفة أحوال الأمم ودرسها ومعرفة سياساتها

داخل في الجهاد

قد علم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد . ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقى لشروها الا بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصا السياسة الموجهة منهم للمسلمين ، فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل

وسائل الاستعباد ، فجعل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير ، ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التي ترمى اليه نفعه عظيم ، وفيه دفع للشر أو تخفيفه ، وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر . ولهذا كان من أركان السياسة والقيادة المعرفة والوقوف التام على أحوال الأعداء ، فالسياسة الداخلية لا تتم إلا بأحكام السياسة الخارجية

من الجهاد القيام بالقسط والوفاء بالعهد

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ الآية . فهذان الأصلان العظيمان — وهما القيام بالقسط الذي هو العدل التام على الأنفس والأقربين والأبعدين والأصدقاء والمعادين ، والوفاء بالعهود والمعاهدات كلها من أكبر أصول الدين ومصلحه ، وبها يتم الدين ، ويستقيم طريق الجهاد الحقيقي ، وتحصل الهداية والاعانة من الله تعالى والنصر والمدافعة . فما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء ، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والخدر . وبهذين الأمرين — مع بقية أصول الدين — حصل للدين الاسلامي من العز والشرف والرقى وقهر الأمم الطاغية ما لم يحصل لغيره . وبهذه الروح — روح الرحمة والعدل والوفاء — وصل الدين الاسلامي الى مشارق الأرض ومغاربها ، ودانت به الأمم المتباينة طوعا وانقيادا ورغبة ، وبتركة انتقض الأمر ، ولم يزل الهبوط مستمرا ، إلا أنه يحصل نفحات في بعض الأوقات بها يفتشش الدين اذا تشبشا بشيء من هذه المقومات النافعة . ولهذا تجد القوّات والحضارات الهائلة التي يزعم أهلها أنها راقية في كل أحوالها لما كانت مبنية على الظلم والجشع والطمع وعدم المبالاة في ظلم الأمم الضعيفة ، وكانت إذا قطعت عهودها ونفذت معاهداتها لم تبال بعد ذلك وف

أو غدرت ، وإنما تلاحظ أطماعها الخاصة وأغراضها الرديئة ولسان حالهم يقول :
السياسة مبنية على المكر والخدع والختر والغدر . لما كانت مع قوتها الهائلة مبنية
على هذه الأصول المنهارة كانت هذه المدينة المزعومة والحضارة المدعاة مهددة
كل وقت بالفناء والهلاك والتدمير ، والواقع أكبر شاهد على ذلك ، فلو أنها
بنيت على الدين الحق والعدل واتباع الحق والوفاء بالمعاهدات ونصر المظلومين
لكانت مدينة آمنة ، ولكنها في الحقيقة مادية محضة ، والقوة المادية إذا لم تبني
على الحق فإنها منهارة لا محالة ، وربما كان سلاحها الفتاك هو مادة هلاكها
وعقوبتها

والمقصود أن المسلمين بالمعنى الحقيقي لا يغترون بقوة هؤلاء الماديين ،
وإنما يقومون بالعدل التام في جميع أمورهم ، وبالوفاء الكامل في حق الصديق
والعدو . وهذه الأمور كلها مضطرة إلى التوكل على الله ، والاعتماد على حوله
وقوته ، وكال ثقة به في تيسير الأمور وتذليل الصعاب ، فيكون المتوكل بعمل
بجد واجتهاد ، مطمئناً بالله ، واثقاً بوعده وكفايته ، لا يرجو غيره ولا
يخاف سواه ، لا يملكه اليأس ولا يساوره القنوط ، غير هيب ولا وجل
ولا متردد ، لأنه يعلم أن الأمور بيد الله ، وأن نواصي الخليفة في قبضته
وتحت تدبيره

بهذا التوكل التام والعمل الكامل نال المسلمون الأولون العز والشرف
والسلطان وصلاح الأحوال . وهذا الذي يجب أن يكون عليه المسلمون الآن ،
وأن يكون العمل والتوكل نصب أعينهم ، فلا يميلوا إلى التواكل والتخاذل
والإخلاد إلى البطالة والكسل ، فإن هذا يتنافى مع التوكل الحقيقي غاية المنافاة ،
كحال كثير من الناس في هذه الأوقات : يشاهدون عدوهم يحاربهم ، ويسلبهم
حقوقهم ، وهم ساكتون لا يدفعون به بوسيلة من الوسائل ، ولا يبذلون ما
يقدرون عليه من مقاومته التي لا يعذرون عن القيام بها ، فتكون النتيجة من
هذا السكوت والتقاعد الضار ضياع استقلالهم ، وذهاب ملكهم وأموالهم ،

والسيطرة على حقوقهم وحاول المصائب المتنوعة بهم من كل جانب ، ويقولون نحن متوكلون . كلا والله بل هم كسالى متواكلون ، قد استولى عليهم الخور ، وأعقبه الذل واستعباد الأجانب لهم

ربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الاسلامية

من الجهاد في سبيل الله

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾ فمن أهم مسائل الجهاد في هذه الاوقات عقد المعاهدات ، وتوثيق المودة والصداقة بين الحكومات الاسلامية ، مع احتفاظ كل حكومة بشخصيتها وحقوقها الدولية وإدارتها داخلا وخارجا والتكافل بينها والتضامن ، وأن يكونوا يداً واحدة على من تعدى عليهم أو على شيء من حقوقهم ، وأن يكون صوتهم واحداً ، وتسهيل الامور الاقتصادية فيما بينهم طلباً لمصلحة الكل وتقريب بعضهم من بعض ، وأن يعملوا لهذا الموضوع أعماله اللائقة به المناسبة للظروف الحاضرة وأن يسعوا كل السعى لتحقيق هذا وازالة جميع العقبات الحائلة دونه والمعوقة له . وهذه الامور وإن كانت في بادىء الرأى صعبة ، وقد وضع الاعداء لها العراقيل المعوقة ، فانها يسيرة بتيسير الله وقرة العمل مع التوكل عليه . واليوم وان كان المسلمون مصابين بضعف شديد ، والاعداء يتربصون بهم الدوائر ، وهذه الحالة قد أوجدت في المسلمين أناساً ضعيفي الايمان ، ضعيفي الرأى والقوة والشجاعة ، قد ملكهم اليأس والخور ، يتشاءمون بأن الامل في رفعة الاسلام قد ضاع ، وأن المسلمين يتنقلون من ضعف الى ضعف ، فهو لاء قد غلطوا أشد الغلط ، فان هذا الضعف عارض له أسباب ، وبالسعى في زوال أسبابه تعود صحة الاسلام كما كانت ، وتعود اليه قوته التي فقدتها منذ أجيال

ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ ،
 وتكبروا السنن السكونية التي جعلها الله بحكمته مادة لحياة الأمم ورقياً في هذه
 الحياة . فاذا رجعوا الى ما مهده لهم دينهم ، وإلى تعاليمه النافعة وإرشاداته
 العالية ، فلا بد أن يصلوا الى الغاية كلها أو بعضها . وهذا المذهب المهيمن
 — مذهب المشائيم — لا يرتضيه الاسلام ، بل يحذر عنه أشد التحذير ، ويبين
 للناس أن النجاح مأمول ، وأن مع العسر يسراً ، وأن المسلمين اذا عملوا
 بتقوى الله وبالأسباب التي أرشدهم الله اليها واقتدوا بنبيهم فيها ، وصبروا ، فلا
 بد أن يفلحوا وينجحوا . فليثق الله هؤلاء المشائيم ، وليعلموا أن المسلمين
 أقرب الأمم الى النجاح الحقيقي والرقى الصحيح لأن دينهم كله عروج وصعود
 في عتائده وآدابه وأخلاقه ومقاصده وأسبابه وجمعه بن مصالح الدنيا
 والآخرة ومنافع الروح والجسد . ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون الآمال بلا قوة
 ولا اعمال ، ويقولون ولا يفعلون فتراهم يتحدثون بمجد الاسلام ورفعته ، وأن
 الرجاء والطمع في ذلك غير بعيد ، ولكنهم أقوال بلا أفعال ، ولا يصحبها
 سعى لا قوى ولا ضعيف . ولا يقدمون لدينهم منفعة بدنية ولا مالية ، ولا
 يساعدون على مصلحة عامة كلية . وهذا كله غرور واغترار . ويترتب عليه
 أنواع من الشرور والمضار . وأما رجال الدين الذين هم غرة المسلمين ، وهم
 رجال الدنيا والدين ، فهم الذين أبدوا جدتهم واجتهادهم . وقرنوا بين
 الأقوال والأفعال ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأقوالهم ودعائياتهم ، وانهاض
 اخوانهم ، وتبرؤا من مذهب المشائيم ، ومن أهل الأقوال الخالية من
 الاعمال . قد نهضوا بامتهم ، وقصدوا في سعيهم الغايات الحميدة ، وسلكوا
 طريق المجد . فهؤلاء هم الرجال الذين يناط بهم الامل ، وتدرك المطالب العالية
 بمساعدتهم المشكورة وأعمالهم المبرورة

الاعتناء بالتربية والتعليم من أصول الجهاد

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ وذلك بالتعليم والتأديب والتربية ، وقال تعالى ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . وذلك أن من أعظم أصول الإصلاح والجهاد التربية الدينية والاهتمام التام والاعتناء الكامل بشباب الأمة ، فانهم محل رجائها وموضع أملها ، ومادة قوتها وعزها . وبإصلاح تربيتهم تصلح الأحوال ، ويكون المستقبل خيراً مما قبله . فعليهم أن يربوهم تربية عالية ، ويبشوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة ، والحزم والعزم ، وجميع مبادئ الرجولة والفتوة والمروءة ، وأن يدرّبوهم على الصبر وتحمل المشاق الذي يفضي الى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع ، ويحذروهم من الجبن والكسل ، والسير وراء الطمع والمادة ، والانطلاق في المجون والهزل والدعة ، فان ذلك مدعاة للتأخر الخطير . وشباب الحاضر هم رجال المستقبل ، وبهم تعقد الآمال وتدرك الأمور المهمة ، فعليهم أن يجتهدوا ليكونوا في خصال الخير والفضائل المثل الأعلى ، وبأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثل

ومن أعظم أركان التربية العامة النافعة إصلاح التعليم ، والاعتناء بالمدارس العلمية ، وأن يختار لها الأكفاء من المعلمين والأساتذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة قبل ما يتلقون من معلوماتهم العالية . ويختار لها من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية والدنيوية المؤيدة للدين . وأن تكون العلوم الدينية هي الأصل والأساس الأقوم ، ويكون غيرها تبعاً لها ووسيلة إليها ، وأن يكون الغرض الوحيد من المتخرجين في المدارس الناجحين في علومها أن يكونوا صالحين في أنفسهم وأخلاقهم وآدابهم مصلحين لغيرهم ، راشدين مرشدين ، مهتمين بتربية الأمة . فان كثيراً من المدارس الآن التعليم فيها قاصر جداً ، لا يعتنى فيه بأخلاق التلاميذ ، ويكون

تعليم الدين فيها ضعيفا ، ويكون الغرض منها المادة ، وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة ، وهذا ضرره كبير ، وسبب للضعف والانحلال . ولا ريب أن السعى في اصلاح التعليم من أهم المهمات ، وبه ترتفع الأمة وتنتفع بعلمائها وعلومهم ، فالتعاليم النافعة ، والتربية الصالحة ، تفود المسلمين الى كل خير وفلاح . وتكون العلوم مقصوداً بها الصلاح والاصلاح

من الجهاد ورعاية الأمانة تخير الاكفاء من الرجال

في الولايات والأعمال

قال الله تعالى ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وقال ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ . وأعظم وأولى ما يدخل في الأمانات الولايات كلها كبيرة كانت أو صغيرة ، وتخبر الرجال السكل من أعظم التعاون على البر والتقوى ، ومن قواعد الجهاد وأصوله ، فانه لا يتم الجهاد إلا بذلك ، بل لا تتم الأحوال كلها إلا بذلك . وكما أنه يلزم الاعتناء والاستعداد بالحصون المنيعة والسلاح القوي والجيش المنظمة العاملة والاهب الوفرة فكذلك يلزم الاستعداد بالرجال الأكفاء على جميع الأعمال ، وأن يولى في الولايات كلها أهل القوة والكفاءة والعقل والرأى والسياسة والحزم والعزم والتدبير الموفق والدين القوي والنصح الكامل ، وأن يكونوا من أصل راسخ في السكال ، ومن أهل الشجاعة التامة ، وإذا لم يدرك الرجل الكامل في هذه الأوصاف فيختار الأمثل فالأفضل . فهؤلاء الرجال هم الذين يقومون بشئون المملكة . ويوطنون بساط الأمن وطرق الراحة ، ويرفعون بناء الملك على طريق العدل ، ويرقفون الرعية على حدود الشريعة ، ويراقبون مع ذلك روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ، ليحفظوا لها المنزلة التي تليق

بها ، بالمعاهدات السلمية والاقتصادية وغيرها . ومن أكبر الخيانة والخطر تولية غير الناصحين أو غير الأكفاء العارفين ، فإن تمام الولاية بمجموع بشيتين : أحدهما الخبرة والكفاية التامة بالقيام بشؤون ذلك العمل ، أى عمل كان ، فيولى فى كل عمل أكمل من يحصل به مقصود تلك الولاية وإن كان ناقصا فى غير ذلك العمل . الثانى الأمانة والنصح ، فتى اجتمع الأمران - القوة على ذلك العمل ، والأمانة التامة - تمت الأمور ، واستقامت الأحوال . ومتى فقد الأمران أو أحدهما وقع النقص والخلل بحسب ما نقص منهما

وتتعين المشاورة فى انتخاب الرجال الكمل الذين أخصّ صفاتهم الاقتداء بنبيهم ، والاهتداء بسيرته وهديه ، فى الجد الكامل لتقوية الاسلام والمسلمين وتكوين الأمة وتربية أخلاقها ، وأن يكونوا على جانب من العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومعرفة تاريخ الدول الاسلامية ورجالها ، والعلم بأسباب الضعف والانحلال الداخلى على الأمة والسعى بازالتها أو تخفيفها مهما أمكن الأمر . وأن يكونوا ذوى قوة وأمل ورجاء واسع ، لا يملكهم اليأس ولا يتطرق اليهم الفتور . وأن يكونوا متصلين بأفراد المسلمين وجميع طبقاتهم اتصالا وثيقا ، ويتعرفون بشؤونهم ويسألون عن أحوالهم ويأخذون بأرائهم الصائبة ويستمدون من عقولهم القوية . وأن يجبوا لهم من الخير ما يحبون لأنفسهم ويسعوا فى ذلك الخير لهم . وأن يكونوا أصحاب فكر ثاقب ، وسياسة وخبرة ، وانتهاز للفرص النافعة ، وكثرة مشاورة للرجال الناصحين . وأن لهم علاقات مع جميع العاملين من المسلمين فى أنحاء العالم : يبدون لهم ودّهم ، ويستشيرونهم ، ويستنصرون بأرائهم ، ويأخذون بالناصح المصيب منها . وأن يكونوا مع ذلك عارفين بسياسات الأجانب ، عارفين بحقوقهم ، آخذين الحذر من مكرهم وكيدهم وخداعهم ، يعاملونهم لمصلحة المسلمين . ويأخذون الحذر منهم خوف الضرر على المسلمين ، عملهم كله لمصلحة الاسلام والمسلمين .

وهم مع ذلك كله مخلصون لله متوكلون عليه معتمدون في جميع أمورهم عليه.

فهذه أوصاف الرجال الذين ينبغي تخيرهم ، والواحد من أمثال هؤلاء يعدل أمة . وعلى أهل الحل والعقد أن يتقوا الله ما استطاعوا ، ويولوا الأكمل فالأكمل . والله أعلم

شرح محاسن الدين الاسلامي

وبيان عقائده وأخلاقه وأحكامه وأصلاحه

من أعظم الجهاد

قال الله تعالى ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين ﴾ ، وقال تعالى وجاهدكم به جهاداً كبيراً ﴿ أى بهذا القرآن ، وبما جئت به من الدين ، وذلك بالدعوة إليه وتبيين أنه دين العدل والرحمة والحكمة والخير والصلاح ، للظاهر والباطن ، والدين والدنيا

وأعظم جهاد النبي ﷺ للخلق بهذا النوع ، فإنه مكث مدة طويلة يدعو إلى الله ، ويبين للعباد محاسن الدين ، ويقابل بينه وبين ضده من أديان أهل الأرض المنحرفة ، ومن جاهليتهم الجاهلاء ، حتى دخل الخلق العظيم فيه متبصرين ، مقتنعين أنه الدين الحق ، وأن ما سواه باطل بالبراهين العقلية والفطرية ، والآيات الاقفية والنفسية . قال تعالى ﴿ سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

وهذا الجهاد هو الاصل ، وقتال اليد والسلاح تبع لهذا لكل معتمد على الدين . قال تعالى ﴿ وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ﴾ فهذا الدين الاسلامي بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله وما جاء به من

القرآن أكبر البراهين القواطع الضرورية الدالة على أن الله هو الحق ،
ورسوله حق ، ودينه حق ، وما عارض ذلك هو الباطل . وهو بنفسه جذاب
لكل من قصده الحق ومعه إنصاف . فانه اذا نظر وحقق عقائده فانه يدعو الى
الايمان الصحيح بالله ، وبأوصافه العظيمة ، وأسمائه الحسنى ، وبكل كتب
أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبكل حق أخبر الله به ورسوله .
وبذلك تمتلئ القلوب إيمانا و يقينا ونورا وطمأنينة بالله ، وقوة توكل واعتماد
عليه . وذلك يوجب كمال الاخلاص لله ، والقيام بعبوديته الظاهرة والباطنة
والتبري من الشرك كبيره وصغيره . واذا نظر الى أخلاق الاسلام وجدّه
رآه يحث على كل خلق جميل ، ويحذّر عن كل خلق رذيل ، ويدعو الى القيام
بحقوق الله وحقوق عباده وبالمعاملة الحسنة . واذا نظر الى تعاليمه وإرشاداته
العالية رآه يحث على كل علم نافع مزك للقلوب ، مطهر للاخلاق ، نافع للدين
والدنيا ، وأنه مرشد الى كل صلاح وإصلاح . فشرح هذه الأمور للناس من
أعظم الجهاد ، فانه يقوئ ايمان المؤمنين ، وتزداد به بصائرهم ورغبتهم ،
ويحمدون الله الذي من عليهم بهذا الدين الكامل الذي حوى كل خير على
وعمل ، وكل هداية ورحمة ، وهو السبب الوحيد الى سعادة الدنيا والآخرة .
وكذلك هو أكبر داع لمن وقف على حقيقته من الأجانب ، وخصوصا
المتصفين منهم : فريد الحق إذا وقف على حقيقته لم يتوقف في تفضيله على
كل دين ، والمكابر يزلزل عقيدته ويخفف شرّه ، وبه تندفع شبه المبطلين من
الملحدين وغيرهم ، فان الحق يستولى على القلوب ويزهق الباطل ، فانه من
عرف الحق معرفة صحيحة امتنع أن يقوم بقلبه باطل يقدمه عليه ، الا إذا
عارض ذلك غرض فاسد من كبر أو حسد أو رياسة أو تعصب أو غيرها .
ومن تأمل هذا الدين رآه يدعو الى الصلاح والرشد والفلاح ، والكتباب
والسنة كفيلا ببيان ذلك كفالة تامة ، فيهما الآيات والبراهين على أنه محال
أن يحصل الصلاح الحقيقي ولا سبيل للبشر الى الاصلاح والخير والسعادة

الا بهذا الدين ، فانه ما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد اليها هذا الدين
ولا خير إلا دل عليه ولا شر إلا حذر عنه : يأمر بتوحيد الله والايان به ،
ويحث على العلم والمعرفة والأذعان ، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال
والأفعال ، وبالبر والصلة والاحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب
والمعاملين وجميع الخلق وينهى عن الكذب والظلم والقسرة والعقوق والبخل
وسوء الخلق مع الأولاد والأهل والأصحاب وغيرهم ، ويأمر بالوفاء بالعقود
والعهود والمخالفات ، وينهى عن النكث والندر ، ويأمر بالنصح لله ولرسوله
ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وينهى عن الغش يأمر . بالاجتماع والتآلف
والتحابب والاتفاق ، وينهى عن التعادى والتباغض والافتراق . يأمر بالمعاملات
الحسنة وأن توفي ما عليك كاملا موفرا لا يخس فيه ولا نقص ولا بماطلة ، وينهى
عن المعاملات السيئة والمطل والغش والبخس والتطفيف وأكل المال بالباطل
وبغير حق . يأمر بأداء الحقوق الخاصة والمشاركة ، ينهى عن ضدها ، وعن
التعدي على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم بغير حق . يأمر بكل
معروف وطيب ونافع ومستحسن شرعا وعقلا وفطرة وينهى عن كل فاحشة
وممنكر وخبيث شرعا وعقلا وفطرة . يبيح كل طيب ، ويحرم كل خبيث .
يأمر بالتعاون على البر والتقوى ، وينهى عن التعاون على الاثم
والعدوان . يأمر بعبادة الله وحده ، وخوفه ورجائه وحده ، والطمع في
جوده وفضله ، والتنوع في فعل الأسباب المحصلة لخيرته وثوابه . وينهى عن
التعلق بالمخاوقين والعمل لأجلهم . يأمر بنبذ الوثنيات والخرافات المفسدة
للعقول والأديان . وبالجملة يأمر بكل خير وصلاح ، وينهى عن كل شر وضرر
فشرح الدين على نحو هذه الطريقة شرحا وافيا . وتطبيق تعاليمه وهداياته
على أحوال البشر ، وبيان أنها صالحة لكل زمان ومكان ولكل أمة . وأن
الانحراف والشر والضرر انما يكون بفقد روح الدين أو نقصها ، وكذلك
شرح أوصاف النبي ﷺ ونعوته وأخلاقه التي من تدبرها وعرفها وفهمها حق

الفهم علم أنه صلوات الله وسلامه أعلى الخلق في كل صفة كمال ، وأن كل صفة كمال له منها أعلاها وأكملها ، وأن الكمالات الموجودة في الرسل صلى الله عليهم وسلم قد جمعت فيه على الوجه الذي لا يماثله فيه أحد ، وبذلك صار سيد الخلق ومقدمهم وإمامهم وأرفعهم عند الله قدرا وأعظمهم جاها

نبذة من أخلاقه وأوصافه صلوات الله وسلامه

وشيء من سيرته الدالة على أنه رسول الله حقا

وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الإيجاز

قال الله تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وإنك لعل خلق عظيم ﴾ . من نظر الى سيرته صلوات الله وسلامه في مبدأ أمره ومنتهاه وبين ذلك وتطورات أحواله . وما حصل بذلك من الأحوال والانقلاب العجيب في العقائد والأخلاق والآداب والتشريع العادل الرحيم والخير والرحمة نالم بهد له نظير في تاريخ البشر . وبعد ما كانت الأرض ملوثة من الشرك والوثنية المستولية على عقول أكثر الخلق ، والاحاد والظلم والشر والفساد وسفك الدماء وقطيعة الأرحام والمعاملات السيئة بكل وجوها ، استبدلت باضدادها من عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص الدين لله ، والقيام بعبوديته التي خلق لها الخلق ، وبالقسط والعدل في جميع الحقوق ، وبصلة الأرحام ، والاحسان الى جميع طبقات الخلق ، عرف أن هذا من أكبر براهين رسالته صلوات الله وسلامه ، وكال دينه وشريعته ، وأنه أعظم مرشد ومصلح للبشر على الإطلاق . فقد كان صلوات الله وسلامه معروفا بين قومه بشرف النسب ، وأن بيته أعظم بيوت العرب وخيرها . وكان معروفا بين قومه قبل بعثته بالصدق الكامل ، والأمانة التامة . والبر والعدل ومكارم الأخلاق ، متريا على الأخلاق الجميلة ، متنزها عن الأخلاق

الرديلة ، لا يعرف له شيء يعاب به لا قليل ولا كثير ، ولا جرب عليه كذبة واحدة ولا خيانة ولا ميل في شيء من أقواله وأفعاله . وكان نقي القلب ، ناصحاً للقريب والبعيد ، وضوياً للارحام ، موفياً بالعهد والذمام ، حاملاً للكل ، معيناً على نوائب الحق ، متواضعاً لله ولعباد الله . حليماً صبوراً عفواً محسناً ، كامل العقل والرأى ، حازماً مسدداً موفقاً في حركاته وسكناته ، مع أنه قد نشأ مع أمة أمية لا تعرف الكتب ولا تدرس الشرائع ، وهو في نفسه لا يقرأ ولا يكتب ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبتلون ﴾ ، ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ . فلم يزل محبباً له الخير ، فعلاً له ، متنزهاً عن جميع الشرور ، حتى فاجأته الرسالة والوحى من الله تعالى ، ورحم الله به الخلق فجاءهم برسالة عظيمة عامة فيها صلاح البشر كلهم وسعادتهم ، وجاءهم بكتاب كريم لم يطرُق العالم كتاب أعظم منه ولا أجل ولا أجمع لكل خير ولا أغزر علماً منه . وأخبرهم بأمور عظيمة وتفصيل جملة لم يكن في قومه من كان يعرفها ، ولا في الأرض أحد عنده علم صحيح ينافيه وينكرها . وأعلن بهذه الرسالة غاية الاعلان لعلمه اليقيني الذي لا ريب فيه أنها الحق ، واعتماده على الحق ، ووثوقه بوعد الله بالظهور . مع كثرة الأعداء وتوفر المعارضين ، من أهل الكتاب والاميين وغيرهم ، فبادأهم وصرح لهم بانكار ما غم عليه من الشرك والشرور والأخلاق الرديلة ، وأن شريعته نسخت جميع الكتب ، وهيمنت على كل الشرائع السابقة . فرمى الجميع بقوس العداوة ، وجدوا واجتهدوا في رد ما جاء به ، ونصر باطلهم . وتحدى قاصيهم ودانيهم وأولهم وآخرهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فما استطاعوا ذلك ، ولا قدروا على رد شيء من دينه ، مع أنهم مكروا مكرآ كباراً ، وأتوا بكل وسيلة وحيلة ، فرجعوا منهزمين أمام الحق خائبين ، والمنصف منهم لم يجد بداً من الاعتراف ، والجاهد المكابر طفق ينصر باطله ، فلم يبد جحة ولا برهانا ، بل ولا شبهة يتكى عليها . ومن أكبر

أدلة الحق معرفة ما قاله أعداؤه ومعرفة حججهم التي لا تغنى من الحق شيئا .
وجاء صلوات الله وسلامه عليه للخلق وحده ، لم يكن له في أول الأمر أعوان ولا أنصار ،
إلا الحق الذي هو نعم العون على الأمور كلها ، فلم يزل يتبعه الواحد بعد
الواحد من أولى البصائر والالباب والعقول الرزينة ، على شدة عظمة ،
ومقاومات من الاعداء عنيفة ، فلم ترعجهم الكوارث ، ولا عوقهم عن
قبول الحق خوف ولا ضغط من الاعداء ، وأعداؤه هم أهل الرياسة ولهم
السيطرة ، فعادوه وعادوا أتباعه ، وآذوهم أشد الأذية ، وحرصوا على صرفهم
عن دينهم ، فلم يكن لهم بذلك طاقة ولا اقتدار ، لان إيمانهم صحيح ويقينهم تام
لم يؤمنوا الرغبة بذلها الرسول ولا رهبة ، وإنما الرغبة والرغبة في ذلك الوقت
عند أعدائه ، ولكن هو الايمان الحق متى وقر في القلوب لم يرتد عنه صاحبه
سخطه له ، بل يراه أحب الاشياء اليه ، وألذها لقلبه ، وأعظمها فوزا
وسعادة . فلم يزل صلوات الله وسلامه عليه يدعو الى هذا الدين بعزم صادق ، وهمة لا تنى ولا
تضعف ، ويقين وثقة بوعده الله ، مع قوة المعارضات وشدة المقاومات من
جميع الاعداء ، ويتتبع العرب في مراسم الحج وغيره في منازلهم يدعوهم الى
الله والى دينه ، والمتبع له إذ ذاك أفراد من الموفقين أولى البصائر ، وأكثرهم
معرضون ومعارضون مقاومون ، وهو صامد لامر الله ، مصمم على الدعوة
لعباد الله ، مستقيم على أكل طريقة من الصدق والعدل ، والوفاء بالعهد ،
لا يتزعزع عن الاستقامة والاخلاق الفاضلة ، والنصح والقوة في أمر الله ،
والشجاعة التي لا نظير لها في الأولين والآخرين ، مع اختلاف الأحوال
عليه من خوف وأمن ، وفقر وغنى ، ويسر وعسر ، وضيق وسعة . فدخل
الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر الاسلام في مكة مع الضغط العظيم ،
وانتشر في المدينة أكثر من ذلك ، فأذن لأصحابه في الهجرة الى المدينة
ليتمكنوا من إقامة دينهم ، فجعلوا يهاجرون اليها أفرادا وجماعات . وفي ذلك
الوقت عقد الرؤساء من قومه المجالس المتعمدة للايقاع به ، وإطفاء النور

الذي جاء به . ومكروا المكرات العظيمة ، والله يكلؤه ويحفظه : وحين بلغ الأمر أشده ، وعزموا على الايقاع والفتك به ، ورتبوا أمرهم وأجمعوا كيدهم أذن الله له بالهجرة فخرج في تلك الحال الحرجة الى الغار هو وأبو بكر تحتفين وبوعده الله واثقين . واشتد الطلب ، وعز التخلص والهرب ، ولكن لطف الله ونصر الله فوق مكر الماكرين ، قال تعالى ﴿ واذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، ﴿ إن لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ﴾ الآية . وهذا النصر من أكبر الآيات والبراهين على عناية الله به وحفظه إياه ووعد الصادق بتمام أمره ودينه . ثم هاجر الى المدينة وعناية الله تصحبه ، وحفظه وتوفيقه يرافقه ، فتلقاه المسلمون . وكل قبيلة من قبائل الأنصار تدعوه الى النزول عندها وتقول : هلم يا رسول الله الى العدد والعديد . فاختر الله له ذلك المنزل الذي بركت فيه ناقته ليكون مسجدا له ومساكن لنسائه ، فاخبط مسجده هناك ، وعمل فيه مع المسلمين ، وبني مساكن زوجاته بجواره ، وسر المسلمين بقدمه . ولم يزل الله يشرع له الشرائع الكبار شريعة بعد أخرى بحسب المناسبات ، ثم أذن له في القتال لما اشتدت مقاومات الأعداء بكل طريق ، فلم يزل معهم يدال عليهم ويدالون عليه حتى صارت له العاقبة والنصر عليهم ، ودخل الناس في دين الله أفواجا حين شاهدوا أنوار الاسلام وهداية القرآن وارشادات الدين ، وكان دينه الحق وما جاء به من أكبر الأسباب لدخول الخلق في الدين ، فانه يدعوهم بنفس الحق الذي جاء به ، والذي تنقاد له القلوب السليمة والعقول الصحيحة ، وتلين له الصعاب ، ويختاره أولو البصائر والألباب الرزينة والآراء الصائبة ، لما يرون من إصلاحه العقائد والأخلاق والأعمال كلها ، ودعوته للإصلاح المطلق بكل وجه واعتبار . وهذا وجه ادخاله في الجهاد ، اذ هو أصله

وأساسه ، فإن الغرض من الجهاد انقياد الخلق للحق ، ودخولهم في الدين الحق ، وأكبر وسيلة لذلك معرفة ما جاء به الرسول ، والوقوف التام على حقائق الدين . وما زال ﷺ يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وبكل طريق يوصل الى الهداية ، ويجادل المبطلين بالتي هي أحسن ، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين ، وجمع الله به أمما متباينة وقلوبا متفرقة وأهواء متشتتة ، وأصلح الله به الظواهر والبواطن وكل أمر فاسد . وبعد ما كانت الأرض مملوءة من جميع أصناف الشرور ، محقها الحق الذي جاء به ، حتى امتلأت من الحق والعدل والرحمة والخير والنور ، فحما الظلمات المتراكمة ، وحق الحق ، واضمحل الباطل وزهق ، ان الباطل كان زهوقا . فمعرفة الآثار والمنافع العامة العظيمة التي حصلت لأهل الأرض برسالاته ودينه من أكبر البراهين الدالة على رسالته ، وصحة ما جاء به من الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وهو دين جميع الرسل وأتباعهم ، فهو الدين الذي أخبره في أعلى درجات الصدق ، وهو الذي ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ، ولانهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به . بل لواجتمع عقول الحكماء وسائر العقلاء على اقتراح دين أحسن منه وأصلح وأنفع للعباد لعجزت أفكارهم عن أن تصل الى ما يقاربه . وأكمل الناس عقلا من حصلت له به الهداية والرشاد ، فانه تنزيل من حكيم حميد . ولهذا سمي الله ما أنزل على رسوله هدى ورحمة ونورا وحكمة ورشدا ، وحث فيه على كل إصلاح في أصوله وفروعه ، وأرشد إلى المنافع الدينية والدنيوية

ثم انك إذا تأملت أحوال النبي ﷺ وتنقلاته في دعوة الخلق ومعاملاتهم من أولياته وأعدائه رأيت فيها الهدى الكامل والنصح التام ، ورأيت آثار دعوته ملأت قلوب المسلمين علما و يقينا ومعارف ربانية ، واهتدوا بها الى كل خلق جميل وتنزهوا عن كل خلق رذيل ، فكما كانت آثار رسالته في نفسه أكمل الآثار فجمعت

فيه أصناف الفضائل والكمالات على أكمل وجه ، وصار بذلك أكمل البشر في كل الأمور مطلقا ، فكذلك كانت آثار رسالته في أصحابه وأمة أكمل الآثار وأفضلها وأجلها ، فلم يصل أحد من الأمم الى ما وصل اليه أصحابه وأئمة الهدى من أئمة وطبقات أهل العلم والايان من المعارف الصحيحة ، والعلوم النافعة ، والمعارف الربانية ، والايان الصحيح ، واليقين الكامل ، والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه ، والرحمة بالخلق ، والاحسان والعدل ، وهذا من براهين صدقه وصحة ما جاء به

وكذلك من براهين رسالته أنه في هذه المدة القصيرة مكمنه الله وبارك في عمره الشريف حتى أسس هذا الدين الذي هو أكمل الأديان وأعمها وأهداها للخلق ، فقرر أصوله وفروعه ، وحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا ، وصار المثل الأعلى والقدوة للخلق فيما يتون وما يندرون ، وما يقولون ويفعلون . إن حُققَت العقائد الصحيحة ، والأخلاق الرجيزة النافعة المصلحة للقلوب ، جعل الميزان فيها عقيدته وأخلاقه ، وإن فُضِّلَت علوم الشريعة على سعتها وتنوعها كانت كلها مأخوذة من شريعته وتعليمه ، وإن أريد الوصول الى علم السياسة وفنون الحرب والسلم ومعاملة الأعداء من جميع الوجوه كان المدار فيها على هديه وعمله وإرشاده ، وإن طلب علم الولايات كلها صغارها وكبارها : من الامامة العظمى الى ولاية الانسان على عائلته وأهل بيته لم يوجد أكمل من طريقته فيها ، وإن حصل البحث في أحوال القلوب ووسائل إصلاحها ودوائها ودوائها لم يكن لذلك سبيل إلا بسلوك الطرق التي أرشد اليها . فلا يوجد علم صحيح ولا عمل ظاهر ولا باطن إلا وقد هدى الخلق اليه وأرشدهم اليه

فهذه جمل مختصرة تدل على رسالته ﷺ ، وصحة دينه ، وأنه الدين الحق الذي لا يصلح البشر غيره ، وأنه لا دين إلا دينه ، ولا طريق إلا طريقه ، ولا تصلح الامور كلها إلا باتباعه

ذكر البراهين من الكتاب والسنة الدالة على ربوبية الله ووحدايته وصدق رسوله وصحة دينه

لما كان توحيد الباري أعظم الأمور وأكملها وأفرضها وأفضلها ،
وضرورة العباد اليه وحاجتهم فوق كل ضرورة تقدر ، فان صلاحهم وفلاحهم
وسعادتهم تتوقف عليه ، نوّع الله الأدلة والبراهين عليه ، وكانت أدلة
واضحات وبراهين ساطعات

فمن أوضح ذلك وأجله لكل أحد الاستدلال باعتراف الخلق بتوحيد
الربوبية على توحيد الألوهية ، فانهم يعترفون أن الله هو الخالق الرازق المالك
للعالم العلوى والسفلى ، المدبر لجميع الأمور ، كما ذكر الله ذلك عنهم في آيات
من القرآن كثيرة كقوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولنَّ الله ﴾ الآية فانه برهان واضح ينتقل الذهن منه بأول وهلة بأن من
هذا شأنه وعظمته أنه هو المنفرد بالوحدانية الذى لا تصلح العبادة إلا له .
وفى مقابلة ذلك يخبر أن من سواه مخلوق فقير عاجز غاية العجز ، لا يملك
لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا ينفع
من دعاه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل يضره أعظم الضرر ، وآثار الخلق
والفقر التام على الخليقة كلها ظاهرة لكل أحد ، وبذلك يعلم افتقار جميعهم الى
عبودية الله وإخلاص العمل له ، كما كانوا مفتقرين فى وجودهم وما به يكمل
وجودهم الى الله غاية الافتقار

ومن براهين التوحيد ما يشاهده العباد من كرمه وجوده وإحسانه المتنوع
وأنه ما بالعباد نعمة دينية ولا دنيوية ظاهرة أو باطنة إلا من الله . وأنه
لا يأتى بالחסنات إلا هو ، ولا يدفع السيئات إلا هو . فمن كان هذا فضله
وكرمه فهو المستحق للحب الكامل ، والذل والعبودية ، والثناء والحمد ،

والشكر المتنوع بالقلب واللسان والجوارح

ومن براهين توحيد الله وصدق رسله — وهو دليل على البعث والجزاء بالأعمال — آياته في عبادته المتبعين للرسول والمكذّبين لهم : يبعث رسولا إلى قبيلة عظيمة ، فيدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العمل له ، وينهاهم عن الشرك وأصناف الشرور ، ويبعث على يديه من البراهين ما على مثله يؤمن البشر ، فيؤمن به القليل منهم ، ويكفر أكثرهم ويعاندون ، ويتوعددهم بالعقوبات الدنيوية ، قبل الآخروية ، فإذا تم طغيانهم وتمردهم على الله وعلى رسله ، أرسل عليهم عقوبات متنوعة : إما طوفان يغرقهم ، أو ريح تحصبهم ، أو صيحة تهلكهم ، أو ظلة تحرقهم ، أو يفلق البحر فيغرقهم ، أو يقلب عليهم ديارهم ويمطر عليهم الحجارة التي تهلكهم ، فلا يبقى من المكذّبين باقية . وينجو الرسول ومن تبعه ﴿ ان في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم ﴾

وخاتمة ذلك ما نصر به خاتمهم وامامهم محمداً ﷺ حيث بعثه بما بعث به الرسل من التوحيد الخالص ، والنهي عن الشرك والشرور . فقاومه أهل الأرض كلهم قريبيهم وبعيدهم ، ومكبروا في نصر باطلهم ورد ما جاء به محمد ﷺ مكرراً عظيماً ، فخذلهم ونصر نبيه ، وأظهر دينه على الدين كله نصرأ لا مثيل له ، حتى وصل هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يزال هذا النصر الرباني من الله لأئمة بحسب تمسكهم بما جاء به ، ان في ذلك لآية على أن دين الله الذي هو الإيمان والتوحيد هو الحق ، وأن ما عارضه باطل ، وأن كل ما جاء به حق

من براهين الدين الاسلامي ما أخبر به من الغيوب المتنوعة

وقد قص الله في كتابه كثيراً من أنباء الغيب الماضية والحاضرة والمستقبلة المتعلقة بالخالق والمتعلقة بالخلق ، وهي كلها حق وصدق مطابقة للواقع

فمن ذلك ما أخبر به عن تفصيل الوقائع العظيمة الماضية ، في قصص
الرسل في أنفسهم ، ومع أقوامهم من أتباعهم وأعدائهم ، تفصيلاً تاماً ليس
لأحد طريق إلى الوصول إليه إلا من جهة الوحي الذي جاء به محمد ﷺ ،
ونهاية ما عند خواص أهل الكتاب من هذه الأمور نتف وقطع يسيرة
لا يحصل منها قريب مما يحصل بالقرآن . ولهذا يخبر في أثناء هذه القصص المفصلة
المبسوطة أن اتيان الرسول بها دليل على رسالته ، كقوله عند ما ذكر قصة
موسى مبسوطة ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت
من الشاهدين . ولكننا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً
في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كenna مرسلين ﴾ أي إنه لا سبيل إلى
معرفة هذه الأمور مفصلة بتلق عن أحد ، ولا وصول لك إليها إلا بالوحي
رحمة من الله بعباده . وكذلك ذكر الله هذا المعنى في قصة يوسف المطولة في
قوله ﴿ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم ﴾ الآية . وفي قصة زكريا مع مريم
﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ
يختصمون ﴾ وحين جاء ﷺ بهذه القصص مفصلة مبسوطة موافقة للواقع
بطريق لا يدرك إلا بالوحي علم أنه رسول الله حقاً وأن ما جاء به حق

ومثل ذلك خبره عن الملائكة والملائ الأعلى وقصة آدم وسجود الملائكة
له بعد تلك المراجعات بينهم وبين ربهم قال ﴿ ما كان لي من علم بالملائ الأعلى
إذ يختصمون ﴾

وأعظم من ذلك كله وأجل إخباره عن الرب العظيم وأسمائه وصفاته
مفصلة ، بحيث جاء هذا القرآن بما لم يأت به كتاب قبله ، وأخبر عن الله
أخباراً عظيمة تعجز قدر الأواين والآخرين وعلومهم ومعارفهم أن يأتوا
بما يقاربها أو ينقصها أو يعمدها ، فجميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء
والمأثور عنهم كل ما في ذلك فانه في القرآن ، وفي القرآن زيادات عظيمة

وتوضيحات تدل أكبر دلالة وأقواها على أن من جاء بها إمام الرسل وسيد الخلق ، وأن هذا القرآن مهيمن على ما قبله من الكتب . وأن كل حق قاله أو تكلم به أحد من الخلق فهو في ضمن القرآن ودلالته

فإن قيل : كيف تجعلون هذا البرهان الذي هو خبر عن الله وأسمائه وصفاته من براهين هذ الدين ، وحقية رسالة محمد ﷺ ، وأدلة التوحيد والبراهين لا بد أن يعترف بها الموافق والمخالف ، وتكون مبنية على الأصول التي يعترف بها العقلاء ؟ قيل : الجواب عن هذا الايراد يتضح بأمور : منها أن الذي جاء به رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وقد نشأ بين أمة أميين ، لم يجالس أحداً من أهل العلم ، ولم يدرس كتابا ، ولم يزل على هذا الوصف حتى جاء بهذا القرآن العظيم الذي معظمه هذه الاخبارات العظيمة المحكمة المتناسبة . فجرد النظر الى هذه الحال التي هو عليها ، ومجيئه بهذا الكتاب المحتوى على هذه العلوم ، برهان قوى يضطر الناظر اليه ويعترف أنه حق ، وأنه لا سبيل اليه إلا بالوحي والرسالة . ثانياً أنه صدق المرسلين والكتب السابقة ، فالذي جاء به موافق ومطابق لخبر الله وخبر رسله ، شاهد له مهيمن عليه مع وصفه ﷺ بالأمية . ثالثاً أن ما فيه من الاسماء الحسنى والصفات العليا كلها متناسبة متصادقة ، لان كل اسم منها ووصف يدل على الكمال المطلق بكل وجه واعتبار كمال لا يقاربه كمال ، ولا يمكن لعقول العقلاء أن تحيط بمعنى واحد من تلك المعاني والافصاف العظيمة ، فهو أكبر دليل على التوحيد والرسالة . رابعاً أن آثارها ومتعلقاتها في الوجود والخلق والامر مشهودة محسوسة : آثار ما أخبر به من العظمة والملك والسلطان ، وآثار ما أخبر به من الحكمة الشاملة والعلم المحيط ، وآثار ما أخبر به من الرحمة والجود والكرم ، وآثار ما أخبر به من اجابة الدعوات وتفريج الكربات وإزالة الشدائد ، وآثار ما أخبر به من شمول القدرة ونفوذ الارادة وكال التصرف والتسيير ، إلى

غير ذلك مما أخبر به عن الله ، فإن آثار ذلك في الخلق مشهودة لكل أحد ، لا ينكرها أو يتوقف فيها إلا مكابر مباحث . وكذلك آثارها في الأمر والشرائع فهو صلى الله عليه وسلم يخبر عن أمر محكم ، وغيب مشاهدة آثاره ، محسوسة مقتضياته . وذلك يدل دلالة قاطعة أنه حق ، وأن من جاء به هو النبي الصادق المصدوق . خامسا هذه النعوت التي أخبر بها عن الله لا يمكن التعبير عن آثار كنهه معرفتها في قلوب العارفين بها من التعظيم والاحلال الذي ليس له نظير ، ومن الود والسرور والابتهاج الذي لذات الدنيا بأسرها بالنسبة إليه أقل من قطرة بالنسبة إلى البحر . وهم خلق لا يحصى عددهم إلا الله ، وهم خلاصة الخلق ، والطبقة العالية من الناس ، وأكملهم أخلاقا وآدابا ، وأرجحهم عقولا وأصوبهم آراء وأتمهم علوما ومعارف ، وقد اتفقوا على هذا الأمر العظيم ليس اتفاقا اعتقاديا عليا فحسب ، بل اتفاقا على يقيني وجداني ضروري ، فهذا الاتفاق الذي ليس له نظير هو من أعظم البراهين على رسالته ، وصحة ما جاء به من التوحيد والحق ، وهو من آثار ما أخبر به ونتائجه وثمراته الجليلة . فإن قلت أنه قد يتفق طوائف من الخلق على بعض الأمور التي ليست بحق ، ويكثرون جدا ، وقد لا يكون حقا إن لم يكن لهم بذلك برهان على . فالجواب أن الأمر كذلك ، فكم يتفق على الباطل أم لا يحصيهم إلا الله ، ولكن ما ذكرنا من اتفاق أهل المعرفة بالله الموصوفين بأعلى الصفات لا يشبهه شيء من تواطؤ الطوائف واتفاقها ، لأن هذا مبني على علم يقيني واتفاق وجداني صادر من هؤلاء الكمل الذين هم أرفع البشر في كل فضيلة وخصلة كمال ، وذلك عن بصيرة تامة وذوق كامل ، ولهذا استشهد الله بهؤلاء على توحيده وصدق رسله فقال ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام ﴾ فذكر شهادة أولى البصائر من الأنبياء والعلماء الربانيين وأئمة الهدى ومصابيح الدجى على توحيده وعلى العدل ، فدل أن هذا

من البراهين الواضحة . وكذلك أخبر عن الملائكة وأحوال المسأ الأعلى وعن الجنة والنار وصفاتها وصفات أهلها والأعمال الموصلة إلى كل منهما بأمور يستحيل أن يأتي بها إلا نبي صادق بوحي من الله إليه ، فإن معارف الخلق وعلومهم تقصر غاية القصور عن معرفة تفاصيل ذلك وبيانها ، ولسكنها رحمة الله وهدايته لعباده بعثها على يد خاتم الرسل وأكملهم رسالة

نوع من الاخبار بالغيوب

وأما الغيوب الحاضرة والمستقبله الدال كل واحد منها على صدق الرسول وحقية ما جاء به من الدين ، فكيف بجميعها ، فكيف إذا انضمت الى براهين رسالته التي لا تخص أجناسها فضلا عن أفرادها

فمن ذلك ما في القرآن من وعده لرسوله ﷺ أن يتم أمره ، وينصره ويعلى دينه ويظهر على الدين كله ، ويخذل أعداءه ويهزمهم مقهورين أذلين . وهو كثير جدا مثل قوله تعالى ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ ، ﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ، ﴿ وبنصرك الله نصرا عزيزا ﴾ ، ﴿ وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ ، ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ﴾ ، ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ ، ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ ، ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، إلى غير ذلك من الوعود الصادقة التي وقعت طبق ما أخبر الله به ، وأكثرها نزل قبل الهجرة والمؤمنون في غاية الضعف والقلة . كما قال تعالى ﴿ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوكم وأيدكم بنصره ووزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها

النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴿ الآية . وقد فعل ذلك ، وقوله ﴾ وعذكم الله مغناكم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ﴾ وقد فعل ذلك وله الحمد وأخبر أن صلح الحديبية فتح مبين مع ما حصل فيه من تلك الشروط التى كرهاها كثير من المؤمنين ثم تبين لكل أحد بعد ذلك ما فيه من المصالح للإسلام والمسلمين بما لا يمكن حصره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ وقد وقع كل ذلك . وأخبر أنه سيتوب على كثير من أئمة الكفر وينصر عباده عليهم كقوله ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾ ، ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ وقد فعل ذلك وقوله ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ وقد قالوا ذلك وقوله ﴿ فسيقضيكم الله والله يعصمكم من الناس أليس الله بكاف عبده ﴾ ، ﴿ وإذ يكرركم الذين كفروا ليشتبكوا أوفى قتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ، ﴿ أنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ وقد أوقع بهم من الأخذات مصداق ذلك ، وقوله ﴿ والآخرة خير لك من الأولى ﴾ أى كل حالة متأخرة من أحوالك خير لك من سابقتها ، ومن تتبع سيرته وأحواله وجد ذلك عيانا فى كل وقت من أوقاته ، يزداد قوة وتمكينا وتكميلا ، حتى قال له فى آخر حياته ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ﴾ وقد وقع ذلك كما أخبر ، وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ، ﴿ وسيعلم الكفار

لمن عقبى الدار) وقد وقع ما نودعهم به من العواقب الوخيمة، وقال ﴿فستبصر
ويبصرون بأبكم المفتون﴾ وقد أبصر الجميع أنهم المقترون، وقوله ﴿ان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا﴾ سيجعل الله بعد عسر يسرا) وقد يسر الله الأمور بعد
عسرها ووسعها بعد ضيقها وشدتها، وقال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منهم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن
لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون
بى شيئا﴾ وقد أنجز وعده والله الحمد. وقال ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ وقال ﴿ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوى عزيز﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم﴾ وقد أنجز لمن قام بالشرط هذا الوعد، وقال ﴿قل
للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقالتونهم أو
يسلمون﴾ وقد دعوا لذلك فى وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من ملوك
الاسلام الصالحين. وقال تعالى ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾، ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾، ﴿أذن
للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير﴾، ﴿لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مخلقين رموسكم
ومقصرين لا تخافون، فلم ما لم تعملوا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾
فصلت هذه الأمور كلها. وقال تعالى ﴿تبَّت يدا ابى لهب وتبّ ما أغنى
عنه ما له وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب فى
جيدها حبل من مسد﴾ وقوله ﴿ذرئى ومن خلقت وحيدا، وجعلت له
مالا ممدودا﴾ الآيات. الى قوله ﴿سأصليه سقرا﴾ فأخبر عن أبى لهب
وامرأته وهذا الوحيد بصلى النار ومن لازم ذلك بقاؤهم على التكذيب
والكفر الى الهلاك فبقرا على ذلك حتى هلكوا. وقوله ﴿انا كفيناك
المستهزئين﴾ فكشفاه اياهم وأوقع بهم العقوبات المتنوعة وهى معروفة بين

أهل السير . ولما ذكر مكر رؤساء الأحزاب والكفر قال ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ . ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ فوقع ما أخبر الله به

فصل

ومن ذلك تحديّيه للخلق كلهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور منه أو سورة واحدة ، وأنه لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فلم يقدر ولن يقدر أحد من الأولين والآخرين على شيء من ذلك مع كثرة الأعداء وجندهم البليغ فى إطفاء نور الله وردّ ما جاء به الرسول ، ومن نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة والتحدّى قائم ، والبشر عاجز وفى غاية العجز عن ذلك ، ومن طفق من بعض المكابرين أن يجاريه أو يعارضه أو يأتى بمثله ظهر عيّه وصار ضحكة لأولى البصائر والألباب ، وقال ﴿ قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدّمت أيديهم ﴾ فلم يقع منهم هذا التمنى فى وقت التحدى الدال عليه السياق ، وقوله فى دعوة النصارى الى المباهلة حين كابروا وجحدوا وعاندوا ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنساءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ الآيات ، وقال ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾ فأخبر عن هذه الأشياء فوقعت كما أخبر وقال تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر ﴾ أى مقطوع الذكر الجميل ، مقطوع من الخير ، عراقه وخيمه . فوقع ذلك بشانتيه . وقوله ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل

ان الباطل كان زهوقا ﴿ ١ ﴾ ، ﴿ ٢ ﴾ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴿ ٣ ﴾ وقد فعل الله ذلك . وقوله ﴿ ٤ ﴾ انا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ﴿ ٥ ﴾ وهذا شامل لحفظ ألفاظه ومعانيه ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا مشاهد محسوس . وقوله ﴿ ٦ ﴾ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يهادون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴿ ٧ ﴾ وقد فعل ذلك

فصل

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ٨ ﴾ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴿ ٩ ﴾ وقال ﴿ ١٠ ﴾ والخيول والبغال والحمير لركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون ﴿ ١١ ﴾ وهذا شامل لكل ما يخلقه الله ويحدثه مما خلقه وعليه الإنسان من أصناف المخترعات التي لا تزال تحدث من المراكب البحرية والبرية والهوائية ومن المخترعات الكهربائية والمغناطيسية الحاملة للأصوات من الآلات الشاسعة والأنوار والأثقال المرفوعة للصناعات ونحوها ، فكل ما يحدث من دقيق وجليل فانه داخل في هذه الآية ونحوها قال تعالى ﴿ ١٢ ﴾ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴿ ١٣ ﴾ ، ﴿ ١٤ ﴾ علم الانسان ما لم يعلم ﴿ ١٥ ﴾ ، ﴿ ١٦ ﴾ والله خلقكم وما تمملون ﴿ ١٧ ﴾ وانما لم يصرح القرآن بمثل أسماء هذه الأشياء وأوصافها الخاصة لأنه لا فائدة في ذلك في ذلك الوقت ، بل فيه مضرة ، لأن الناس لم يشاهدوا لها نظيرا ، والنفوس مولعة بالتكذيب والانكار لما لم يشاهدوه أو يشاهدوا نظيره ، قال تعالى ﴿ ١٨ ﴾ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ﴿ ١٩ ﴾ فانه لما أخبرهم عيسى عليه السلام إلى بيت المقدس من المسجد الحرام وبالمعراج إلى الله وبأن في النار

شجرة تخرج في أصل الجحيم حصل بذلك فتنة ، مع أنها من المعجزات ، وبعضها من أمور الغيب المتقرر مخالفتها لما يعرف الناس ، فكيف لو صرح لهم وأخبرهم أن الناس سيطيرون في الهواء ويغوصون في البحار ويتخاطبون في مشارق الأرض ومغاربها ونحو ذلك من الأمور الواقعة المدهشة ، لو أخبرهم ببعضه لسمعت من الإنكار والتكذيب شيئا كثيرا ، ولكن أتى بكلمات جوامع يدخل فيها كل ما سيحدث الى قيام الساعة ، حتى إذا وقعت تبين دخولها في دلالة القرآن فازداد المؤمنون بذلك إيمانا ، وقامت الحجة على المعاندين . ولهذا كلما توسعت معارف الناس في علوم الكون والطبيعة عرفوا من دقيق حكمة الله وعظيم قدرته وحسن خلقه ونظامه العجيب في تدبير المخلوقات ومطابقة ذلك لما أخبر به شيئا عظيما . ولكن أبى المتمردون إلا عتوا ونفورا . وهذا من آيات الله ، حيث تجد أناسا في غاية المهارة والذكاء في المخترعات وعلوم الكيمياء والطبيعة ونظام الكون . ومع ذلك لم ينتفعوا بعقولهم في أظهر الأشياء . ولم يمتدوا بها الى أجل المعارف ، وهو معرفة الله باسمائه وصفاته ، ومعرفة دينه ورسوله وعبر ديته الظاهرة والباطنة التي علومهم كلها من أولها الى آخرها لا نسبة لها بوجه من الوجوه ، ونهاية الأمر أن تكون من الوسائل ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ مع أنك تشاهد فيهم من الكبر والزهو واحتقار الرسل وعلومهم ما يدل على أكبر دلالة أن الأمر كله لله ، وأن من تكبر على الله وعلى رسله وتاه بعقله وكل الى نفسه وعقله ، فلم ينتفع إلا بأمور ضئيلة دنيوية حاضرة ، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿ كلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ومن تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويزدق بعضهم بأس بعض ﴾ وقد وقع العذاب من فوقهم بالقنابل المهلكة والدخان الخانق ، ومن تحت أرجلهم بالديناميت الناسف المهلك والألغام المتلفة وما أشبه ذلك . ولنذكر هنا آية

كبرى تشتمل على آيات فيها مصداق ما أخبر الله به وأخبر رسوله من التوحيد والرسالة والمعاد وأمور الغيب ، وفيها أخذ الخنثاق بالمكذبين الماديين الملحدون فنقول :

الكهرباء وأعمالها ونتائجها

قال الله تعالى ﴿ سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ وقال تعالى ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ . لم تزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة وأعمالها العجيبة في طي الخفاء والكتمان ، ولم يصل اليها في غابر الزمان علم الانسان ، حتى ترقى معارف الناس في العلوم الطبيعية والكيمائية وعلوم الكون ، فوصلوا إلى هذا العلم العظيم والكنز الثمين . وهو استخراج الكهرباء من المواد الأرضية والمائية والنارية وغيرها من المواد المتنوعة . فحققوا عليها ، وفرضوا أعمالها ونتائجها ، بعد ما أتقنوا أصولها ، فأوجدوا بها الصنائع المتنوعة والمخترعات الباهرة وأوصلوا بها الأنوار والأضواء من المحال المتباعدة الشاسعة في أسرع من لمح البصر . وما زالوا ولا يزالون في ترقية مخترعاتها وتفريعاتها . أفليس الذي علم الانسان ما كان ناقصا في علمه ، ناقصا في إرادته وقدرته وعمله وجميع أحواله ، أليس الذي علمه هذه الأمور التي لم تكن تخطر ببال أحد من البشر بقادر على أن يحيي الموتى ، وأن يجمع الأولين والآخرين بشفخة واحدة ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾

لم تزل كتب الله المنزلة على رسله ، ولم تزل الرسل الكرام ، تقرّر التوحيد والمعاد وأمور الغيب بأنواع البراهين والأدلة المتنوعة التي تجعلها من الأمور التي هي أعلى درجات اليقين ، فلا تقبل ريبا وشكا بوجه من الوجوه . وأعداؤهم المكذّبون برسالاتهم ليس عندهم ما يعارض هذه الأمور العظيمة

إلا مجرد استبعادات استبعدوها بعقولهم القاصرة وآرائهم الكاسدة ،
يقولون كما أن هذه الأمور متعذرة على قَدَر المخلوقين فكذلك هي متعذرة
على الخالق . هذا حاصل ما ردّوا به ما جاءت به الرسل من أمور الغيب
والمعاد . ولم تزل هذه الطائفة المادية في نموّ وازدياد حتى ظم بحرهم في هذه
الأوقات الأخيرة وانسلخوا عن أديان الرسل بالكلية وكذبوا ما جاءت به
الرسل من أمور الغيب بهذه الشبهة وفتسا الاتحاد وطمغ الماديون الذين
ينكرون بحجّهم وسفاهة عقولهم ما لم تصل اليه حواسهم ، فأظهر الله هذه
الآية الكبرى والحجة العظمى الدالة دلالة يقينية عينية على صدق ما أخبرت
به الرسل ونزل به الوحي من أمور الغيب والمعاد فرأى كل من عنده أدنى
عقل وانصاف أن ما جاء به الرسول ونزل به القرآن هو الحق الصريح الذي
صدقت له الآيات الأفقية الكونية ، فكل شبهة يدلى بها المنكرون لما جاءت
به الرسل يستندون فيها الى المشاهدات الحسية فقط وأن الذي جاء به
الرسل يخالف ما زعموه من المحسوسات فيتميم في زعمهم انكاره ، بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه . وهذه الآية من أكبر ما يزلزل شبهتهم ويدحض باطلهم
ويردّهم على أعقابهم مقهورين مغلوبين بالحق المؤيد بالمنقول والمعقول
والمحسوس ، فهذه المخزعات الناشئة عن الكبرياء ونحوها قد كان الرسل صلى
الله عليهم وسلم يخبرون من أمور الغيب بما هو دونها أو فوقها أو مثلهما ،
فيظل هؤلاء الضلال يسخرون بها ويمنّ أخبر بها ، فأراهم الله من عمل
الآدميين ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا ﴾ فالؤمنون يزدادون بها إيماناً ويعلمون أن الذي أقدر
الآدميين على ضعفهم ونقصهم من كل وجه على مثل هذه الأمور قادر على
كل شيء لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء ، وأن جميع ما أخبر به وأخبرت به
رسله فهو الحق ، والله له المثل الأعلى . فكل علم وقدر في المخلوقين فآله هو
الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون ، وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين .

وبذلك تقوم الحجة التي لا يستطيع أحد انكارها على الجاحدين ، وأن
تسكينهم الرسل محض مكابرة واستكبار صرف ، وأنه لا شبهة لهم فضلا
عن أن تكون لهم حجة أليس الذي أقدر البشر على هذه المقدورات مع أن
قدرة جميع الخليقة ليس لها نسبة الى قدرة الخلاق العليم قادر على أن يحيي الموتي
ويجمع الأولين والآخرين ويعلم ما تفرق من أوصالهم وما تلاشى من
أجزائهم في أسرع من لمح البصر ، أليس التنادي والتخاطب الذي ذكره الله
في القرآن بين أهل الجنة وأهل النار مع البعد العظيم الذي كان المنكرون في
ذلك الوقت يرونه محالاً بمنعها فجاءهم مالا قبل لهم بدفعه ، الى غير ذلك من
أمر الغيب التي قرّبتهم للجاحدين بها هذه المخترعات غاية التقريب ، ولكنهم
كما قال تعالى ﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فالؤمن ينظر الى هذه الآيات بنور ايمانه ويستفيد
بها هدى ورحمة وإيقانا ، ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ،
وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم ﴾

فصل

ومن ذلك إخباره أن سنته في خايقته في نظام العالم وفي الأسباب
والمسببات والجزاء بالحسنى للمحسنين وبالسرءى للمسيئين لا تتغير ولا تبدل
وهي كلها جارية على مقتضى الحكمة التي يحمد عليها ، وهذا مشاهد في الشرع
وفي الخلق والقدر ، وقد يغير الله بعض الأسباب عن نظامها المعتاد ليعرف
العباد أنه المتفرد بالقدرة والتصرف ، وأن جميع الحوادث خاضعة لمشيئته
وقدرته ، وأن ما أخبر به الرسل من أمور الغيب حق ، ومفردات هذا
النوع من معجزاته ﷺ وكرامة أوليائه لا تعد ولا تحصى ، ولكن أبي
الجاحدون إلا أن ينكروا ما أخبر الله به على ألسنة رسله مما صاروا الآن

يفعلون نظيره ، فأمنوا بقدرة الانسان وكفروا بقدرة من هو على كل شئ قدير ،
فانقلب الامر عليهم ، وقلب الله قلوبهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، واستكبروا
بعقو لهم عن الحق فسلبت خاصيتها وفضيلتها الحقيقية

فصل

ومن أعظم علوم الغيب التي أخبر بها الله ورسوله بما أبداه الله وأعادته في
كتابه وسنة رسوله أنه لاسبيل الى هداية البشر وصلاحهم وسعادتهم الحقيقية
إلا باتباع هذا الدين والأخذ بارشاداته وتعاليمه . وهذا أمر لا يستريب فيه
منصف ، وهو مشاهد محسوس ، فإن هذه الأمة في عصر الخلفاء الراشدين
والمملوك الصالحين لما كانوا مهتدين بعلمه وارشاده وتربيته الخاصة والعامة
صلحت دنياهم كما صلح دينهم ، وصاروا المثل الكامل في العزة والقوة والعدل
والرحمة وجميع الكالات المستعد لها البشر ، ثم لما ضيعوا هدايته العلمية والعملية
لم يزالوا في نقص وضعف وذل مطرد لا يزول ذلك حتى راجعوا دينهم ورجعوا
الى العمل بهدايته كلها ، فهو الذي فيه الشفاء التام من هذا الداء العضال . ثم في
مقابلة ذلك من العجب العجيب الذي ليس بغريب أن الأمم الأخرى ارتقت
في هذه الأوقات في الصناعات الضخمة والمخترعات المدهشة والسلاح الفتاك
والقوة والسياسة والفنون العلمية المادية التي لم يشاهد الخلق لها نظيرا وأنهم لم
يزدادوا بها إلا شقاء وهلاكاً وتدميراً ، حتى صارت حضارتهم التي يعجبون
بها ويخضع لها غيرهم مهددة كل وقت بالتدمير العام ، وجميع علمائهم
وساستهم في حيرة من تلافي هذا الخطر ، فهو خطر واقع ماله من دافع ، ولن
يتلافي ويدفع إلا باتباع ما جاء به دين محمد ﷺ ، المهيمن على جميع الأديان
الكفيل بكل خير وسعادة وفلاح ، الجامع بين العلم والعمل ، وبين سعادة
الدنيا والآخرة . فالعلوم والفنون المادية والقوة المادية المحصنة التي لم تؤسس

وتبين على الدين الحق خطورها عظيم ، وشرها مستطير . فانظر أحوال الأمم
 تر العجائب . فهذا الارتقاء المادى الذى لم يشاهد الخلق له نظيراً لما خلا من
 روح الدين كان هو الحبوط والهبوط والسقوط الحقيقى فى الدنيا والآخرة ،
 بل هو الشقاء والعذاب . والدنيا الآن كلها فى خطر مزعج لا يعلم مدى ضرره
 وفضائعه الا الله ، فلا حول ولا قوة الا بالله

فصل

ومن البراهين على أن دين الاسلام هو الحق وأن ما سواه باطل أن
 تعاليمه العالية وتزيده السامية فى أقصر مدة قد جمعت بين أمم متباينة
 وطوائف متعادية ، وألفت بين قلوبهم ، وجمعت قاصيهم لدانيهم ، حتى
 صاروا إخواناً متحابين ، وقرناء وأصفياء متعاونين ، فحملوا بهذا الدين وبهذه
 الروح العظيمة المعنوية التى نفخ فيها الروح هذا القرآن على الأمم الضخمة
 والدول الكبرى والملوك الجبابرة فزقوا الجميع كل نزق ، واحتلوا بممالكهم
 المملوءة بالظلم والعدوان والشرور ، وملأوها بالعدل والرحمة والخير ، فهذا
 من أعظم براهين القرآن المشاهدة ، ودين الاسلام مع ذلك يدعو الى كل
 علم نافع فى الدين والدنيا ، ويدعو الى كل خلق كامل وأدب جميل ،
 كالإخلاص لله والنصح لعباد الله والتوكل على الله والالتجاء اليه فى جميع
 النوائب ، والطمأنينة بذكره ، والشكر له على آلائه ونعمه ، والصدق التام ،
 والقيام بالقسط فى حقوق الله وحقوق عباده ، والتدب الى الفضل والاحسان
 الزائد عن القرض ، والشجاعة والكرم ، والوفاء بالعهود والعقود ، وحسن
 المعاملة وسلوك طريق التوسط فى الأمور كلها ، والعفو وحسن الخلق ، وتربية
 الأهل والأولاد وكل من المسلم عليهم ولاية ، وينهى عن أصدقاء ذلك . فمعرفة
 ما يدعو اليه هذا الدين ويحث الخلق عليه من البراهين على أنه الحق

فصل

ومن براهينه التي وقعت مطابقة للواقع والمشاهدة أنه أخبر أنه آيات
لأولى الألباب ، لقوم يعقلون ، للموقنين . وهي آيات كثيرة تبين أن أهل
العقول الوافية والبصائر النافذة بقدر ما أعطوا من هذه النعمة الكبرى واللب
السكامل يكون حظهم من هدايته وارشاداته ومقدار الانتفاع به ، فتأمل
هداة هذه الأمة ومرشديها هل تجد أكمل منهم عقولا وألبابا ، وأصوب
آراء . وتأمل هل تجد مسألة أصولية أو فروعية في هذا الدين قد شهد أحد
من المعتبرين على فسادها أو ضعفها أو مخالفتها للواقع ، وكل من قسح في
شيء منها بُيِّن بالبراهين المعترف بها بين العقلاء أن الخلل في دينه وعقله
وفهمه أو في سوء ارادته . وإذا أردت تفصيل هذه الجملة الكبيرة فاقرأ كتاب
العقل والنقل لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وكيف بين بالبراهين الواضحة
العقلية على ضعف عقول القادحين في شيء من مسائل هذا الدين ، وأن الذي
زعموه عقليات هو جهل وضلالات . وقد تحدى الباري الخلق أن يأتوا بمثل
كتابه أو ببعض مثله . وهذا هو عين هذه المشكلة ، فليرنا المنكرون مسألة
واحدة منه خارجه عن الحق والعدل والصلاح والرحمة والحكمة إن كانوا
صادقين

فهذا الدين هو الذي يصلح الأمم اصلاحا حقيقيا ولا يصلحهم سواه
أبدا ، وقد أكمل الله هذا الدين : فليس فيه نقص بوجه من وجوهه ، لا في
عقائده وأصوله ، ولا في أخلاقه وآدابه ، ولا في أعماله ومنافعه المتنوعة ،
ولا في شرائعه وأحكامه وحكمه بين الخلق ، ولا في ظاهره ولا في باطنه .
فكل ضرر أو قصور أو تقصير أو اسراف ومجاوزة فلفقده أو نقصه . وهذه
الأصول والجل العظيمة تتحدى بها جميع البشر ، وأنه محال أن يجدوا فيما
جاء به الرسول نقصا أو خلا بوجه من الوجوه ، فانه جمع المحاسن والكالات

والمنافع كلها ، ونهى عن القبائح والمضار والمفاسد كلها ، فليأتوا بمشال واحد
يسلمه العقلاء مخالفا لهذه الأصول التى أسسها هذا الدين وجعلها قواعد خالدة
نافعة يرجع إليها البشر فى هدايتهم ورشدهم

فصل

ومن براهين القرآن وهذا الدين إخباره المتنوع بما تفعله هداية الكتاب
والسنة فى القلوب والأرواح والأخلاق ، وأن الأمور المذكورة لا تكمل
ولا تتم ولا تصلح ولا تترقى إلا بهدائيه ، فوجد مخبره كما وصف . فهذا
معروف لا ينكر ، يشهد به أولو الأسباب والبصائر ، وهم أذكى الناس
وأزكاهم وأصدقهم وأورعهم وأصحهم علوما ومعارف وأذواقا صحيحة ،
وأعدهم شهادة عن علم ويقين ووجدان ، وذوق صحيح موافق للعلم واليقين . قال
تعالى ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ﴾ ، ﴿ والذين جاهدوا فىنا
لنهديهم سبلنا ﴾ فكل من قصد رضوان الله واجتهد فى معرفته واتبعه هدايه
سبيل السلام التى أضافها الى نفسه ، لأنه الذى نصبها لوصول سالكيها الى الله
عز وجل . والهداية المذكورة فى الآيتين وغيرهما تشمل الهداية العلمية لكل علم
نافع صحيح ، والهداية العمل لسلوك طريق الصلاح باطنا وظاهرا . قال تعالى
﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه خيرا طيبة ولنجزينهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وأصل الحياة الطيبة طيب القلب وراحته
وسروره ، والقناعة والرضى عن الله ، وهذا مشاهد أن من حقق الايمان
والعمل الصالح حصل له ذلك بحسب كمال ما قام به من الوصفين أو نقصه ، فان
المؤمن الصادق لو كان فى أضيق عيش وأشق حالة فان هذه الحياة الطيبة حاصلة
له بوعد الله الذى لا يخلف الميعاد . وقال تعالى ﴿ ألا بذكر الله تطمئن
القلوب ﴾ وهذه الطمأنينة بذكر الله هى ما يجده أهل الايمان والاحسان
الصادقين من ذوق حلاوة الايمان وحقائق اليقين والأنس بالله وانسراح

القلب لطاعته وخدمته ، والاحوال الزكية التي هي أحلى في قلوبهم من كل لذة يجدها الناس ، وهذه براهين ذوقية وجدانية تكون في حق هؤلاء حق اليقين وهي أعلى من عين اليقين . وقال تعالى ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ فقد تكفل الله بهداية القلوب لكل من حقق الايمان بصدق ، فان ايمانه بالمأمور يقتضى فعله . وإيمانه بالمحذور وخوفه التام يقتضى تركه ، وإيمانه بالمقدور الذى لا يلائم النفوس بان يعلم أنه من عند الله فيرضى ويسلم لأمره . فهذه الهداية التامة في هذه الأمور مشاهدة لمن حقق الايمان ، وهذا أمر معلوم مشاهد بالبصائر والأبصار

فصل

ومن ذلك ما تواترت به نصوص السنة من إخباره ﷺ عن الأمور المستقبلية ، فوقعت طبق ما أخبر ، ولا تزال بقيتها تحدث شيئا فشيئا ، ولا بد أن يقع كل ما أخبر به ، فانه أخبر بالخلافة بعده وأنها تكون ثلاثين سنة ثم يعقبها الملك الذى فيه خير وشر وصلاح وفساد . وإخباره بأن الله زوى له الارض مشارقها ومغاربها وأن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها ، فوصلت الفتوحات الاسلامية الى المحيط الغربى والى الشرق الاقصى من حدود الصين . وإخباره بما يقع بعده من الفتن التى فى صدر الاسلام وبعده . وإخباره بأن خير القرون قرنه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، فوجد مصداق ذلك فى علومهم وأعمالهم وثمرات أعمالهم وإخباره بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وظهر مصداق ذلك . وإخباره بنفوس الزنا والخمر والحريير والذهب والجهل وقلة العلم وكثرة الهرج والمرج وتداعى الأمم على المسلمين كتداعى الأكلة على الصحف مع كثرة المسلمين ولاكنهم غثاء كغشاء السيل لتفرقهم وتعاديتهم وذلم وخضوعهم واستعبادهم

للا جانب وفقد معنويتهم لأعراضهم عن هداية دينهم . وإخباره بتقارب
الزمان الذى من لازمه تقارب المكان ، فكان هذا عين ما وقع من قرب
المواصلات الزمانية والمكانية بالمخترعات الحادثة . كما أن إخباره بمواقيت
المناسك للاقطار قبل فتحها فيه الاخبار بفتحها وأن أهلها سيسلمون ويحجون
وتصريحه بأن أمتة سيهزمون الاكسرة والقيصرة وتنفق خزائنها فى سبيل
الله . وإخباره بالكذابين المتنبئين بعده وأنهم سيبلغون ثلاثين كذاً ابا فوق
كل ذلك . وإخباره بقتال أمتة للترك ، وأن أمتة ستركب البحر غزاة فى سبيل
الله . وإخباره بأن أمتة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ،
والمراد هنا أمة الاجابة الذين آمنوا بالرسول وأجابوا دعوته ، فهم اثنتان
وسبعون فرقة أهل بدع وواحدة أهل سنة متمسكون بما عليه النبي ﷺ
وأصحابه ، وإخباره بخروج الخوارج المارقين ، ووصفه لهم بالصفات المتعددة
المطابقة لأحوالهم ، وإخباره بظهور الخيانة ، وفقد الأمانة . وأن الاسلام
بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وإخباره بقتال أمتة لليهود وأن العقابة لهم
وقد ظهرت مبادئ ذلك ، وأنه لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب
مروجاً وأنهاراً وقد بدت مبادئ ذلك ولا بد أن يتم ذلك كله ، وأنه لا تقوم
الساعة حتى يقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون قيم خمسين امرأة رجل
واحد ، وقد وقعت أوائل ذلك بالحروب العالمية المهلكة ، وأخبر بوجود
خليفة فى آخر الزمان يحثو المال حثياً ولا يعده عدا ، وأخبر عن النار التى
تخرج فى الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى فوقعت منذ مئتين من السنين ،
وإخباره أنه لا بد أن يكلم الرجل عذبة سوطه وشارك نعله ، ويخبره نخذه بما
فعله أهله بعده ، ومصدقه ما ظهر من الأعمال الكهربية والمخاطبات
التليفونية والهوائية والراديات المتنوعة التى لا تزال فى نمو وازدياد ، الى غير
ذلك من الاخبارات عن الوقائع فى أحاديث صحيحة متعددة ، وهى أحاديث

معروفة لا يمكن إحصاؤها في هذا الموضع ، وهذا من براهين الرسالة وآيات
نبرته ﷺ

وأما معجزاته التي شاهدها أصحابه في حياته من انشقاق القمر ، وتسليم
الجمادات والحيوانات عليه ومخاطبتها إياه ، وإجابة دعواته الخاصة والعامة ،
وحصول بركة الطعام والشراب بملابسته ، ونبع الماء من بين أصابعه في قضايا
متعددة وشفاء المرضى وغير ذلك فقد صنفت فيها التصانيف الكثيرة وذكرت
أجناسها وأنواعها وأفرادها ، وكل واحد منها برهان على رسالته فكيف
بجميعها ، والعلم الضروري اليقيني حاصل ببعض تلك الآيات ، وليس قصدنا
في هذه الرسالة ، وإنما مقصودنا بيان البراهين المشتركة التي بقيت مشاهدة إلى
يوم القيمة لتكون آية وبصيرة للمؤمنين وحجة على المعاندين ، ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

فصل

قال الله تعالى ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين ﴾ وهذا من أعظم براهين رسالته ﷺ أن الله أخبر أنه
لو تقول عليه بعض الأقاويل — أى افترى على الله الكذب — أنه لا بد
أن يهلكه ، فإذا كان قد ادعى هذا الدعوى العظيمة أنه أرسل إلى الانس
والجن ، وأن شريعته كاملة نسخت وهيمنت على شرائع الأنبياء قبله ،
وأن من خالفه فهو ضال غاو ، وعاداه على ذلك أهل الأرض عربهم وعجمهم
ورموه عن قوس العداوة ، وأبدوا من مقاوماته القولية والفعليّة ما انتهت
إليه مُقدّرتهم واستحل بذلك دماءهم وأموالهم ، والله مع ذلك يؤيده بقوله
وبفعله ، وينصره وخذلان أعدائه ، حتى أظهر الله دينه الحق على سائر
الاديان ، فكانت هذه الحالة العظيمة أعظم وأكبر شهادة من الله شهادتها

الحس والعيان ، واضطرت العقول الى العلم اليقيني أنه رسول الله حقا ، فان الله بحكمته وقدرته ورحمته لا يؤيد الكذاب المفترى عليه ، فكيف والله قد أيده بتأييد ونصر لم يحصل لأحد من الأولين والآخرين ، ويظهر صدقه بالآيات الأفقية والنفسية التي شهدها أول هذه الأمة وآخرها ، وشهد بها وسعها الموافق والمخالف ، قال تعالى ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ هذا بقطع النظر عن حالته الخاصة مع قومه وأهل بلده ونحوهم ممن كانوا لا يشكون في صدقه وأمانته وكمال أوصافه التي لا يماثلها ولا يقاربه فيها أحد ، فانهم لا يستريبون في ذلك قبل أن يقول لهم اني رسول الله ، فلما قال ذلك كذبوه بل كذبوا بها جحدا منهم آيات ربهم واستكباراً عن الانقياد لها ، كما قال تعالى ﴿ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ فأراهم الله خاصة وأرى الخلق عامة من آيات رسوله وبراهين دينه آيات بينات وبراهين قاطعات ، اضمحلت معها كل مقاومة قولية أو فعلية من كل معارض ومعاند وجاحد وملحد ، وهي باقية قائمة على الدوام ، نزول السموات والأرض والجبال وهي لا تزول ، وتتحول كل حال من الأحوال وهي مستمرة لا تتحول ولا تحول

فصل

قال تعالى ﴿ ولا يأتونك بمثل الا جئتك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ وهذا من آيات الله وبراهينه على صدق رسوله وصحة ما جاء به من هذا الدين المحفوظ في معانيه وألفاظه ، فكما أن معاني الكتاب والسنة يستحيل أن يقوم دليل صحيح على كذب شيء من أخبارها ، أو فساد ومنافاة للحكمة والعدل والرحمة في أوامرها ونواهيها كما هو مقرر مبسوط في جميع أصول الدين وفروعه ، فكذلك ألفاظ الكتاب والسنة معصومة جامعة بين دلالتها

على الحق والوضوح التام ، وأنه يتعذر أن يوجد في كلام أصناف الخلق مثلها في الاحكام والاتقان ، وصلاحياتها لكل زمان ومكان وحال من الأحوال ، ومتى ذكرت ومعانيها بياناً شافياً فانها تجمع كل ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة ، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الخلق ، وهي محفوظة مما دخل في كلامهم من الباطل ، وفيها من دلائل الوحدانية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام احد من الناس ، ففيها أصول الدين المفيدة لليقين ، وهذا أمر يعرفه من تتبع الكتاب والسنة وعرف ما قاله الناس من أصناف الكلام فانه يرى من النقص والزيادة والاختلاف والتناقض العجب العجيب

فصل

ومن أعظم براهين الدين الاسلامي التي لا يمكن انكارها ولا المكابرة في ثبوتها أنه حكيم محكم في أصوله وفروعه ، لا فيه نقص ولا فساد ولا تناقض ولا اختلاف ، قال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ . فانظر الى اخباراته المتنوعة عما لله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات العليا والأفعال الحميدة على تنوعها وتصريفها في كل أسلوب ومعنى من المعاني تجدوها كلها متوافقة متصادقة دلت كلها على غاية الكمال الذي تقصر الأفكار عن تصور كنهه ، والالسن عن التعبير عنه ووصفه ، وأنه كما أثنى على نفسه وفوق ما يشئ عليه عباده ، وبذلك أخباره عن الآخرة وما فيها من الحساب والثواب والعقاب وأصناف النعيم والعذاب ، وأخباره عن أنبيائه وقصصهم المختصرة والمبسوطة ، كلها متشابهة في الحسن والصدق والاتفاق وعدم التناقض والاختلاف ، قال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ ، وكذلك اذا نظرت الى الشريعة في أصولها وفروعها ظاهرها وباطنها رأيت ما تأمر به كله خير واصلاح للقلوب والأرواح والأبدان ،

وكلها خيرات ومنافع ومصالح . وما تنهى عنه فهو بضد ذلك شر وضرر .
 واذا تعارضت المصالح والمفاسد قدم الشارع أهمها وأرجحها ، وهذا من
 أعظم الآيات وأكبر البراهين . فتتبع الدين كله مسألة مسألة تجده على
 هذا الوصف المحكم المتقن الذى قصد به سعادة البشر فى معاشهم ومعادهم ، وأن
 يزول عنهم الشقاء والضرر ، قال تعالى ﴿ أحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن
 من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ واذا أردت تحقيق هذا الأمر الكلى فانظر كل
 اصلاح موجود واقع من أحد من البشر سواء من الموافقين أو من المخالفين :
 إصلاح فى الأخلاق أو الآداب أو العلوم أو العمل أو الدنيا أو غير ذلك مما
 هو اصلاح ، انظر من أين مصدره ، ومن أى طريق وصل اليهم ، تجده بلا
 ريب من هذا الدين الكامل ، وان صبغه الأعداء بغير صبغته وغيروا وجهته
 فليقولوا عن شيء من الاصلاح أنه ليس من دين الاسلام ان كانوا صادقين ،
 كما أنه لا يوجد فساد وضرر وظلم وقبيح وسقوط الاودين الاسلام أبعد شيء
 عنه ، وهو يحذر عنه غاية التحذير

واذا أردت زيادة إيضاح لهذا فاعلم أن دين الاسلام أمر بكل ما فيه
 ترقية للعقائد والأخلاق والآداب التى تكمل بها القلوب والأرواح وتحصل
 السعادة الكاملة ، ويأمر أيضا بكل ما يرقى الأمم من أصناف العلوم والأعمال
 النافعة ، فما من منفعة وخير دينى ولا دنيوى إلا جاء به وأرشد اليه وحث
 عليه بكل وسيلة ، فمن قام بالأمرين سعد فى معاشه ومعاده ، وتم
 له الفلاح والصلاح والكمال المتنوع ، وسلم من كل شر وضرر ونقص عاجل
 وآجل ، ومن فقد الأمرين — الرقى الروحى والدنيوى — حصل له الشقاء
 التام وخسر الدنيا والآخرة ، ومن اعتنى بالرقى الدنيوى المادى وحده ولم ين
 رقيه على الحق والدين الصحيح فان مادته كثيرا ما تكون هى مادة ضرره
 العاجل كما يشاهده البشر من أumm الحضارة المادية المحضنة كيف وقع بها من

الهلاك والفناء والتدمير ما لم يوجد له مثل ولا نظير ، وذلك بأيديها وأعمالها ، وهى مجدة كل وقت فى الاستعداد لاهلاك بعضهم بعضا واستعباد الأمم الضعيفة ، وهم مهددون بالحروب التى تقضى القضاء التام على هذه الحضارة المزعومة المزخرفة المزوقة بالأقوال الكاذبة والأفعال المزورة التى يظهرون أنها صلاح وإصلاح وهى عين الشر والضرر ، فلو أنها بنيت على الدين الحق الذى هو دين الاسلام ، وصار العدل والحكمة والرحمة روحها ، وطلب التقرب الى الله والقيام بعبوديته التى خلقوا لأجلها ، والاستعانة بالنعم الجسيمة على طاعة من أنعم بها ، واحترام حقوق البشر ، لو أنها كانت كذلك لسعد بها البشر سعادة لا شقاء معها ، ولحصلت لهم الحياة الطيبة واطمأنوا من الأخطار الفادحة ، والشرور المدهمة المتنوعة ، والقوارع التى تنتابهم فى كل ساعة ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

فصل

قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ﴾ الآية . وقال ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ فمن أعظم الأدلة على رسالة محمد ﷺ وأن دينه هو الحق أنه أمر بالإيمان بجميع الرسل وبكل ما أوتوه من الله من الكتب والشرائع والحق ، مع تضمنه الاستسلام الكامل والاخلاص التام لله ، وهو مصدق لجميع الأنبياء ، وشريعته وكتابه مهيمن على الكتب والشرائع كلها شاهدا عليها وحاكما ومؤتمنا ، شهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة ، وقرر ما فيها من أصول الدين وشرائعه الجامعة التى اتفقت

عليها الرسل وهي صالحة لكل زمان ومكان ، وجاء بالأصول الكلية التي
يهتدى بها جميع طبقات البشر الى مصالحهم . فهذا القرآن وهذه السنة كفيلا
بذلك كفاية تامة

وقد تتبع المحققون المنصفون ذلك فوجدوا جميع أصول الاصلاح التام
مذكورة وموضحة في الكتاب والسنة ، منها ما هو منصوص عليه بعينه ،
ومنها ما جعلت له القواعد والأصول التي لا يمكن تحصيل الاصلاح ولا حصوله
إلا بها . مثال ذلك على وجه التقريب أنها أصلحت العقائد الاصلاح الأكبر
بمعرفة الله معرفة تفصيلية تملأ القلوب تعظيما وإجلالا ومحبة وتألهانا وإيمانا
به وبقيننا وإخلاصا ، وأصلحت الأخلاق والآداب بأمرها بكل خلق جميل ،
كالصبر والعفة والحياء والكرم والشجاعة وحسن الخلق والعفو عن المسيئين
والاحسان المتنوع الى جميع الخلق وصلة الأرحام والقيام بحقوق الأصحاب
والجيران والمعاملين وجميع من بينك وبينه معاملة أو صحبة أو اتصال ،
وأصلحت الأحكام الكلية والجزئية بالأمر بالقسط والعدل في حق الكبير والصغير
والقوى والضعيف ، والنهي عن الظلم من كل وجه ، وقمت المجرمين والمفسدين
بالحُدود المناسبة للجرائم بحسبها ، وكفلت الحياة الزوجية والمنزلية بإيجابها
للحقوق المتنوعة التي لا تتم الراحة والحياة الطيبة إلا بها ، وأصلحت السياسة
وتدبير الأمة بالأمر بالشورى والحث عليها ، والأمر ببرد الأمر الذي تخشى
عواقبه الى أهل الحل والعقد لينظروا فيه ويقرروا ما ثبتت مصلحته ويدفعوا
ما ظهرت مفسدته ، وبالأمر بالاستعداد الممكن والتحرز التام من كيد
الأعداء والتحصن من أضرارهم ، وبقوة الإيمان بالله والتوكل على الله في دفع
الأعداء ومقاومة جميع الشرور ، مع الصبر والطاعة لأولى الأمر ، ونهت عن
كل ما ينافي ذلك من التفرق والتعادي والكسل والخوار والجهن واختلال
النظام الطيب ، كما أمرت أن ينتدب لكل أمر مهم من جمع بين الكفاءة

والأمانة ، وكما أمرت بالمعاهدات السلمية النافعة الدافعة ، وأمرت بالوفاء وأداء الأمانة والصدق في كل معاملة عامة أو خاصة ، وبمكافأة المحسنين من كل أحد على قدر احسانهم قولاً وفعلاً ، وأمرت بالتوسط في الأمور كلها ، ونهت عما يضاد ذلك من غلو وتقصير ومن إسراف أو تقتير ، وأباحت كل طيب من مآكل ومشارب وملابس ومناكح وغيرها ، وحرمت كل خبيث منها

وبما بين هذا أن دين الاسلام كلما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت براهينه وقوى يقينه وازداد نوره وقوى به ايمان المؤمنين ، واذا قابله ما يضاده من كل باطل ظهر فساد وقبحه وبنائوه على ظنون وشبهات لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وظهر الكذب في أخباره والباطل في أحكامه ، فان الحق والباطل ضدان ونقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان قال تعالى ﴿ فاذا بعد الحق الا الضلال بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴾ وهذا النوع الذى هو الاستدلال بنفس ما جاء به النبي ﷺ وأنه آيات وبراهين على رسالته وصحة ما جاء به أبلغ بكثير من دلالة المعجزات الظاهرة المتنوعة ، فان هذا برهان عظيم يخضع له جميع العقلاء ، ولهذا كان في دعوة النبي ﷺ وأصحابه الى هذا الدين بيان ما يدعو اليه وما يأمر به وينهى عنه ، كما استدلت الصحابة رضى الله عنهم بذلك عند ملك الحبشة لما دعاهم وسألهم عما يدعو اليه محمد ﷺ فأخبروه أنه كان ينهى عن عبادة الأوثان ، وعن الفواحش والظلم وقطيعة الأرحام ، وأنه يأمر بعبادة الله وحده وبصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، وبالزكاة والصلاة والصيام فصددتهم بذلك واعترف برسالته وآمن به ، وكذلك هرقل ملك الروم الذى هو من أعلم النصارى في وقته لما جاءه كتاب النبي ﷺ يدعوه الى الاسلام سأل أباسفنيان بن حرب ومعه قومه عن صفات النبي ﷺ فأخبره بها فأقر واعترف أنها صفات الأنبياء ، وأن من هذا وصفه فلا بد أن يظهر دينه ،

فقال هرقل لأبي سفيان في جوابه عن أسئلته : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها ، وسألتك هل قال أحد قبله هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت هذا رجل يتأسى بقول قيل قبله ، الى أن قال وسألتك هل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليزر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل أى في أول دعوتهم لمخالفتهم لأغراضهم ، ولا ينافي بعد ما يقوم دين الرسل اتباع الأشراف له كما هو الواقع ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك أرتد أحد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . فذكر من علامات النبوة زيادة الايمان وزيادة الداخلين فيه ومحبة أهله له وإيثارهم إياه على كل ما سواه إذا ذاقوا حلاوته وخالط نوره قلوبهم . وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فعرف بهذه الخصال أنه رسول الله ، فانها من أبلغ الأدلة وأجلى البراهين على ذلك وكذلك ملك مصر وغيره من الملوك الذين عرفوا صحة نبوته وكمال دينه بكل ما يدعو اليه من كل خلق حميد وفعل سديد وعمل رشيد ، ونهيه عما يضاد ذلك أو يكون فيه ضرر على العبيد

فصل

قال تعالى ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ وأخبر في عدة آيات عن هذا المعنى ، وهذا من أكبر براهين رسالته ﷺ ، فان جميع النبوات لا يمكن

إثباتها بطريق من الطرق العلية إلا بعد إثبات نبوة محمد ﷺ ، فمن زعم أنه
مصدق ومتبع لأحد من الأنبياء كوسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء الكرام
مع تكذيبه لمحمد ﷺ فانه يقال له بأى طريق وأى برهان أثبت به نبوة
هذا الذى آمنت به ، فانه لا يذكر طريقا ودليلا على ما يقول إلا ومثله وأعظم
منه يدل على نبوة محمد ﷺ ، فان طرد دليله لزمه حتما أن يعترف بمحمد
ﷺ ، وان قال اثبت بهذا الدليل نبوة الرسول الذى آمنت به دون إثباتى به
نبوة محمد ظهر عناده ومكابرته واتباعه هواه ، وأن تكذيبه لمحمد ﷺ فى
الحقيقة تكذيب للرسول الذى يزعم أنه مؤمن به ، فاذا قال علمت نبوة
موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر اليانا ، قيل لهم
معجزات محمد ﷺ أعظم وتواترها أكثر والكتاب الذى جاء به محمد
ﷺ أكمل وأتمه أفضل وشرائع دينه أحسن ، وموسى شريعته مبنية على
العدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل ومحمد صلى الله عليه وعليهم قد جمع فى
شريعته بين العدل والفضل ، فكل برهان أيد به رسالة النبيين الحكيمين
فبراهين رسالة محمد ﷺ أكمل وأقوى وأجلى ، وكل شبهة وجهها أهل
الكتاب على رسالة محمد ﷺ يلزمهم ما هو أبلغ منها فى توجيهها الى رسالة
النبيين الكريمين ، فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ لم يصح له ايمان بأحد من الرسل
لا نقلا ولا عقلا ، فرسالته أيدت رسالة المرسلين وصدقها وثبتتها ،
فإثبات الفرع بدون أصل محال ومنتهى

فصل

ومن براهين الأديان ومحاسنها عموما وبراهين الاسلام ومحاسنه خصوصا
أنها أخبرت عن أمور الغيب أخبارا مفصلة عظيمة ينتفع بها الخلق فى عقائدهم
وإيمانهم وبقينهم وفى إصلاح أخلاقهم ، أخبارا تفيد القطع واليقين كالأخبار
عن الله ونعوته وأفعاله وعن الملائكة والجن وعن اليوم الآخر والجنة والنار

وفرضت على الخلق اليقين التام بكل ما أخبر الله به وما أخبرت به رسوله ،
وأن يقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه ، وبين لهم أنه لا طريق لهم الى معرفة
كنهه ذلك وحقيقته ، ونهى عن التكلف بطلب معرفة كنهه ذلك وأنه لا سبيل
للشعر اليه في هذه الدار التي هي دار الابتلاء والامتحان ودار العمل ، فإن
مقصود الايمان بالله وبكتبه ورسله لا يتم الا بالايمان بالغيب وتسليم أمور
الغيب وتفاصيلها الى ما ذكره الله في كتابه وأخبر به رسوله ، فإن الكتاب
والسنة يحويان من أمور الغيب ما لا يوجد ما يقاربه في جميع العلوم الماثورة
عن الأنبياء ، وبالوقوف على ذلك وعدم تعدي به يحصل المقصود من التكليف
والامتحان بالشرائع ، ولو صار الغيب مشاهدا ومعروفا للناس في هذه الدار
زال هذا المقصود الأعظم ولم يحصل الايمان الاختياري المثمر للسعادة الأبدية
ومهما ارتقت معارف البشر في علوم الكون فلن يصلوا الى معرفة حقيقة
هذا الغيب ، قال تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول ﴾ وبهذا يعرف أن أمور الغيب خارجة عن طور المحسوسات ،
وأنه لا سبيل للعقول الى التوصل لادراكها ، وأنه يجب التسليم التام فيها الى
الشارع بلا قيد ولا شرط . وبهذا نعرف أن من شرط في الايمان بهذا النوع
أنه لا بد أن يدخل في علوم البشر وفنون المعارف الكونية والمادية فهو في
الحقيقة لم يؤمن بالأنبياء وبما أوتوه من الله ، ونعرف بذلك غلط المجارين
للماديين من العلماء العصريين واعتذارهم بأن قصدتهم التقريب للامور الغيبية
من الأمور المادية المدركة بالحواس اعتذار فيه خطا وغلط كبير ، فإن الماديين
الذين لا يؤمنون بغير المادة والطبيعة هم منكرون للرب ورسله ولليوم الآخر
قالوا يجب التكلم مع أمثال هؤلاء في براهين التوحيد والرسالة والمعاد ،
وبراهين وجوب تصديق الأنبياء في كل ما أخبروا به ، وفيه من الأضرار أنه
يضر المسلمين ولا ينفع في مجادلة المعطلين ، أما ضرره في حق المؤمنين فانه
يضعف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله اضعافا ظاهرا ، فإن من

لا يقنع بخبر الله وخبر رسله في أمور الغيب حتى يقوم عنده وبزعمه دليل عقل على ذلك فهذا فتح لباب الاستغناء عن الرسل ومشابهة لمن قال الله فيهم ﴿لن تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله﴾ ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴿فكل من لم يؤمن بالرسول إيمانا تاما سواء قام عنده دليل عقلى أو حسى على ما قاله الرسول أو لم يقم فليس بمؤمن إيمانا صحيحا﴾ . وأما المنكرون المعطلون فالدخول معهم في هذه المباحث والانهماك في تمثيل أمور الغيب بأموار المادة معهم إغراء لهم على لزوم ما هم عليه من الانكار ، لأن هذا الذى يزعم أنه ينصر الدين نهاية ما يصل اليه أن يجعله تابعا لعلومهم ، وقد خالف إجماع المسلمين والسلف الماضين فانهم أجمعوا على أن أمور الغيب يجب على الخلق فيها أن ينتهوا فيها الى ما عرفهم الله منها وما عرفهم رسوله ، وأن يكونوا بذلك موقنين ، وأن لا يتكلفوا معرفة الوقوف على الكنه والكيفية والتفاصيل الخارجة عن خبر الله وخبر رسوله ، وانما الواجب أن يجعل الكتاب والسنة أصلا والعلوم العقلية والطبيعية والكبرية تابعة ، وبذلك يحصل الايمان الصحيح ويعلم أن جميع العلوم تابعة له وأنه لا يرد شيء من العلوم الصحيحة المناقضا للكتاب والسنة بل جميع الحقائق الصحيحة والعلوم الناضجة والمعارف التى اتفقت عقول العقلاء عليها كلها تابعة وخاضعة لعلوم الدين ، وقد تتبع المحققون ذلك مسألة مسألة فوجدوها كلها كذلك والله أعلم

ومن غرائب الجهل الفاضح حصر كثير من الماديين السنن الالهية التى يسمونها سنن الطبيعة فى نوع مادى محض يدخل تحت علومهم وإدراكهم التى هى فى غاية القصور ، وأنها كلها مندرجة تحت التفاعل بين المواد والجواهر الكيميائية والتجارب المكررة ، وبهذا الطريق الجهلى لا العلى نفوا أمور الغيب ونفروا معجزات الأنبياء ونفوا تغيير البارى للأسباب عن نظامها الذى يعرفون

وهذا من أعظم مضار الجهل وقبائحه ، وقد دلت البراهين اليقينية والكتب السماوية كلها بل والمحسوسات والمشاهدات التي لا يمكن إنكارها على أن الله سننا متنوعة ، وأن عناصر العلم العلوى والسفلى منقاداة لارادة الله وحكمته وعلمه المحيط ، وأنه يجرى المقادير والحوادث على سنن حكيمة متنوعة ، فقد تعقل أسبابها وقد لا يعقل من العباد أسبابها إلا من ارتضاهم الله لرسالته واختصهم بوحية فيطلعهم على ما شاء منها كما أشهد عباده ما فعله بأنبيائه وأتباعهم من أصناف الأكرام والنجاة الدنيوية ، وكما فعل بأعدائه من العقوبات المتنوعة ، وجميع معجزات الأنبياء وبراهين رسالاتهم من سنن الهية ونوع غير النوع الذي تجرى عليه الأمور العادية وآثار الأعمال ، وكما جعل الأدعية من أكبر الأسباب لحصول المطالب ودفع المسكاره وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وخلق البحر لموسى وقومه فأخذوا منه طريقا للنجاة وسلكه فرعون وجنوده فأدّى بهم الى الهلاك ، وكما جعل على يد عيسى إراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وشق القمر آية لنبيه محمد ﷺ وكتبته الجمادات وحصل على يديه من المعجزات المتنوعة أمور كثيرة لا يمكن إحصاؤها ليعرف العباد أنه على كل شىء قدير ، وأنه حكيم عليم ، وأنه اذا اراد شيئا قال له كن فيكون

فصل

قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، بالبينات والزبر ﴾ وغيرها من الآيات الدالة على أن ما أتى به محمد ﷺ من أصول الدين والشرائع العامة هو ما جاءت به الرسل ، وأنه متقرر ذلك عند كل عارف منصف من أهل الكتاب ، وهذا من البراهين على أنه رسول الله حقا ، فالكتب السابقة والرسل متفقة على الأمر بعبادة الله وحده والنهى

عن الشرك به وعلى أن الدين عند الله الاسلام المحتوى على الأمر باخلاص
الدين لله والصدق والعدل وبرّ الوالدين وصلة الأرحام والنهي عن الظلم
والفواحش والمحرمات القولية والفعلية ، ومتفقة أيضا على أن جميع الرسل
بشر لا ملائكة ، وأن ما جرى لهم مع أممهم من التكذيب وانكار دعوتهم
وتنويح الأقوال فيهم وكانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة جرى أعظم منها
لسيدهم وإمامهم محمد صلّى الله عليه وآله ، ومتفقة على أن محمدا موصوف بما وصف به
الأنبياء من جميع الكمالات اللائقة بالرسل ، وله منها أكملها وأتمها ، وقد
تواترت البشارات والشهادات بنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله ، وقد ذكرها أهل العلم
بألفاظها ومعانيها من الكتب السابقة وشهادة المنصفين من علماءهم الراسخين
حتى من لم يسلم منهم ذكر أهل العلم من شهاداتهم واعترافهم بالنقول الثابتة
شيئا كثيرا لا يمكن حصره والله أعلم

فصل

قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ الآية . من براهين رسالة
محمد صلّى الله عليه وآله وأن دينه هو الحق النعوت والأوصاف التي من الله بها على
أمته واختصهم بخصائص ، وفضلهم بفضائل لم تكن لغيرهم ، فإن من وقف على
أحوال الأمم تماما عرف يقينا أن أمة محمد صلّى الله عليه وآله أعظم الأمم عقولا وأفهاما ،
وآتمهم معرفة وبيانا ، وأحسن قصدا وديانة وإخلاصا لله وتحريا للصدق والعدل
وأنه لم يحصل في النوع الانساني أمة أكمل منهم ولا ناموس من الناموس الذي
جاء به نبيهم ، وقد جمع الله لهم طرق المعارف الانسانية كلها ، فإن العلوم
والمعارف تنال بالوحي والوحي الذي جاء به نبيهم أكمل شريعة طرقت العالم ،
والعلوم النبوية لم تدع أصلا ولا فرعا الا فيها بيانه ، ولا أبقت شيئا يحتاجه
العباد إلا وضحته ، وتنال المعارف والعلوم أيضا بالحس والعقل والفطرة

ولهذه الأمة منها أكملها وأصحها ، وعلومهم كلها تحتوى على توضيح جميع الحقائق النافعة ، وتشتمل على هداية الخلائق لما يحتاجونه . هذا مع ما لهم من الأخلاق والآداب العالية والمناقب السكاملة والتفوق فى كل خصلة حميدة ، وهم إنما نالوا ذلك كله وحصل لهم من جهة رسولهم ودينهم ، فالرسول والدين الذى هذه آثاره فى أمة محمد ﷺ فى علومهم وأعمالهم وأخلاقهم وجميع أوصافهم هو رسول الله حقاً ، ودينه الحق صدقاً ، فالآثار تدل على المؤثر . ولما كانوا فى القرون الفاضلة وصدر الاسلام على هذا الوصف ترتب على السكال الروحى والرقى فى الدين والأخلاق الرقى الدنيوى ، اذ خضعت لهم الأمم وأخضعوهم بالعدل لا بالظلم ، وبالرحمة والحكمة لا بالقسوة والطمع والجشع واختلال النظام ، فلما تناقصت الأمور وضعف تمسكهم الحقيقى بالدين تبع ذلك التدهور وتسلط الأمم الأجنبية ، وهذا أيضاً من الآيات ، وهو أن الرقى المطلق فى كل شىء روحى ومعنوى وما يتبعه من القوة تبع لا تباع ما جاء به دين الاسلام من العلوم والهدى والرشاد والاصلاح فى كل شىء والعكس بالعكس

فصل

قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وهذا شامل لتكفله تعالى بحفظ ألفاظ القرآن ومعانيه ، وهذا من أعظم براهين الدين الاسلامى ، فان هذا الحفظ الذى تكفل الله به قد تقرر عند الخلق لهذا الكتاب العظيم ولمعانيه ولاحكامه الكلية ، فالقرآن نقله المسلمون ، نقلوا ألفاظه ومعانيه نقلاً متواتراً قرناً بعد قرن ، يحفظه المسلمون حفظاً يستغنون به عن المصاحف ، كما ثبت فى صحيح مسلم مرفوعاً « ان ربي قال لى انى منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظانا » يقول ولو غسل بالماء من المصاحف

لم يغسل من القلوب كالكتب المتقدمة ، فأنها لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواترا ، ولم تكن محفوظة في الصدور ، والقرآن كان محفوظا في الصدور نقلا متواترا حتى لو أراد مرید أن یغیر شیئا من المصاحف وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غیر المصحف لحفظهم للقرآن من غیر أن یقابله بمصحف وأنکروا ذلك . ومن خصائص المسلمين أن لهم الأسانید المتصلة بنقل العدول الثقات لدقیق الدین وعلیه ، وکلیات دینهم وضروریاته من الواجبات والفرائض والمحرمات ، قد نقلت بالتواتر واشتراك فی علمها العالم والجاهل والصغیر والکبیر . وأمة محمد ﷺ إجماعهم حجة قاطعة ، فلا تجتمع والله الحمد إلا على الحق فی باب الأخبار و فی باب الأحکام ، وفیهم أئمة الهدی ومصابیح الدجی العلماء الربانیون الذین تضمحل علوم غیرهم اذا نسبت لعلهم ، قد جمع الله لهم أصناف المعارف وفنون الکرامات وزکاهم بالأخلاق الفاضلة وأنزاع الکلمات

فصل

قال الله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ، أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وكل شيء عنده بمقدار وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ قالت الملائكة والرسل أفضل الخلق وأعلمهم ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ . من كمال هذا الدين وعظمته وإحاطته وأن القرآن ما فسرط الله فيه من شيء وأنه تبيان لكل شيء قد تقدم في الفصول السابقة ما يشتمل عليه من علوم التوحيد والعقائد الصحيحة والأخلاق والآداب الكاملة والكمال المطلق الذي لا يقال فيه لولا ولو ما وأنه المسيطر على الحق والصدق بحيث لا يعارضه معارض الا اضمحلت معارضته ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأن العلوم العقلية والنقلية والحسية الصحيحة محال

ومتنع أن ترد بما يخالف هذا الدين بوجه من الوجوه ، وفي هذه الأوقات
توسعت المخترعات وتوسعت علوم الطبيعة والرياضيات وشاعت بين أهل
الفلسفة كثير من النظريات التي تشبه الفوضى وكثر تعظيم الملحدون وتقليد
في منتهى نظرياتهم التي بنوها على ظنون وتخمينات وقياسات وتجارب يكثر
خطأها ، وهم في تلك النظريات مضطربون حائرون بل هم فيها متناقضون ،
ومن وقف على نظرياتهم الخاطئة أخذ العجب من كثرة اضطرابها وتناقضها ،
ويرى فريق منهم رأيا ثم يأتي فريق وينقضه ويثبت له نظرية غيرها ، ثم يأتي
غيره ويبطل نظريته وحده . ومن العجب أنه لم يتفق منهم أحد على نظرية
واحدة ، تخالف ما دل عليه الكتاب والسنة ، وغاية ما يصل إليه الملحدون
المنكرون المعطون ووصلهم إلى علل بعض الموجودات أو ما يسمونه أسبابا
أو مواد أو أصولا ، فتي وصلوا إليها بعد الكد والتعب واتعاب الأفكار ظنوا
أنهم وصلوا إلى جميع علل الموجودات وأنه ما بعد ذلك شيء ، فأنسكروا
الخالق واستولت عليهم الطبيعة ، وعند التحقيق تجد هؤلاء القوم وإن مهروا
في علوم الطبيعة وحذقوا في الرياضيات فنتهى ما وصلوا إليه من العلم الصحيح
في هذه الأشياء هو من جملة مخلوقات الله الذي خلق جميع العالم العلوي والسفلي
بنظام وحكم تقصر عقول الخلاق عن الإحاطة بحكمة الله فيها ، وكلما أمعن
الفكر الصحيح في حكمه وحسن نظامه رأى من كمال النظام واقترب الأسباب
بمسبباتها والعلل بمعلولاتها ما يدل على الخضوع لله والانكسار لعظمته ، ولكن
هؤلاء ما زادهم هذا النظر الاعتوا ونفورا ، والسبب الذي أداهم إلى هذا
معروف وهو استكبارهم عن الحق واحتقارهم للخلق وانهم لما جاءتهم رسلهم
بالبينات في المسائل والدلائل والبراهين اليقينية فرحوا بما عندهم من العلوم
الطبيعية التي لا ترقى القلوب والأرواح ولا تزكي الأخلاق ، فقصور هؤلاء
واقتصار علومهم وانتهواؤها إلى ما ذكرنا من بعض علوم الطبيعة وعجبهم

بأنفسهم هو الذي صيرهم الى هذا الالحاد . هذا في علومهم الصحيحة ، وأما النظريات المخالفة للكتاب والسنة فلم يتفقوا والله الحمد على نظرية واحدة منها بل تجدهم فيها متناقضين يرد بعضهم على بعض ، وهذا شأن الباطل ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ وأما جميع الحقائق التي دلّ عليها دين الاسلام فهي كلها حق وصدق ، ثابتة لا تغيرها الأوقات ولا تقدح فيها الشبهة ، بل كلما عورضت ظهر من حقها ونورها وبرهانها أمر عظيم يبين أنها من عند من هو بكل شيء محيط ، ويبين أن جميع الحقائق الثابتة الصحيحة مندرجة في ضمن الدين الاسلامي

فصل

ومن براهين شريعة دين الاسلام أنها الشريعة التي جاءت بالعدل والقسط بين الناس في جميع الحقوق والمعاملات المتنوعة ، وندبت وحشت على الاحسان والفضل ، كما قال تعالى ﴿ وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ﴾ وقال ﴿ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ ، ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ﴾ ، ﴿ ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ﴾ فهذا أحسن شرع وأجمله ، يرغب في الصبر والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ، ويذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ، ويرفع عن المنتصف من ظلمه الملام ، ويبين أنه لا حرج عليه ولا سبيل اذا انتصر بعد ما ظلم ، ويذكر الحق الواجب اللازم ثم يقول ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ فيذكر العباد أن يجعلوا للفضل والاحسان في معاملاتهم موضعاً ومحللاً

لينالوا بذلك حسن الجزاء ، ويتصفوا بأكل الاخلاق ، ويتودّدوا الى من
بينهم وبينهم علاقة حق من أى وجه كان ، ومن أحسن من الله حكما لقوم
يوقنون

فصل

قال شيخ الاسلام والمسلمين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية وسيرة الرسول ﷺ
من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمته من آياته وعلم أمته
ودينهم من آياته ، وكرامات صالحى أمته من آياته . وذلك يظهر بتدبير سيرته من
حين ولد الى أن بعث ، ومن حين بعث الى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله
وفصله ، فانه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة ابراهيم
الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد ابراهيم إلا من
ذريته ، وجعل له ابنين اسمعيل واسحق ، وذكر فى التوراة هذا ، وهذا وبشر
فى التوراة بما يكون من ولد اسمعيل ، ولم يكن فى ولد اسمعيل من ظهر فيما
بشرت به النبوات غيره ، ودعا ابراهيم لذرية اسمعيل أن يبعث فيهم رسولا
منهم ثم من قريش صفوة بنى ابراهيم ثم من بنى هاشم صفوة قريش ومن مكة
أم القرى ، وبلده البيت الذى بناه ابراهيم ودعا الناس الى حججه ، ولم يزل
محجوجا من عهد ابراهيم المذكور فى كتب الأنبياء بأحسن وصف ، وكان
من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ومكارم
الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند
جميع من يعرفه قبل النبوة بمن آمن وكفر ، لا يعرف له شيء يعاب به لا فى
أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه ، ولا جربت له كذبة قط ولا ظلم لاحد
ولا فاحشة ، وكان خلقه وصيرته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن
الدالة على كاله ، وكان أميا من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه

أهل الكتاب التوراة والانجيل ، ولم يعرف شيئا من علوم الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوة الى أن أكمل الله له أربعين سنة فأقى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره ، وأخبر بأمور لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثلها ولم يعرف قبله ولا بعده في مصر من الأمصار ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من دعا الى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره . ثم انه اتبعه اتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذب به أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم ، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرغبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم اياها ، ولا كان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذوا اتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة ، وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجاني وإعراض المعرض ، الى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فان أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برغبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أحسن طريقة وأكملها وأتمها من الصدق والعدل والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال

عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة ، وهو على ذلك كله ملازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا ما كان الذين يحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء ، وهذه آثار عليهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين ، وهو ﷺ مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على النفس والأموال مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولا متاعا إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعها لاهله ، وكان ميده عقار ينفق منه على أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك ، وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئا بعد شيء حتى أكمل الله دينه الذى بعث به وجاءت شريعته أكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف الا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل ليته لم يأمر به ولا نهى عن شيء فقيل ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات لم يحرم شيئا منها كما حرم في شرع غيره ، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحله غيره ، وجمع محاسن ما عليه الأمم فلا يذكر في التوراة والانجيل والزيور نوع من الخبر عن الله وملائكته وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في هذه الكتب ، فليس في تلك الكتب ايجاب لعادل ، وقضاء بفصل ، وندب الى الفضائل ، وترغيب

في الحسنات ، إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه ، وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع . وأمتة أكمل الأمم في كل فضيلة ، فإذا قيس عليهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل عليهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم ، وإن قيس شجاعتهم وقتالهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا ، وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم ، وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالخواريين ومن بعد الخواريين ، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا لما غيروا دين المسيح في دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح ، وأما أمة محمد صلوات الله عليه وآله وسلم ، فلم يكونوا قبله يقرؤون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل والزبور إلا من جهته ، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقرؤوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله فقال ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الآية و﴿ آمن الرسول ﴾ إلى آخرها . وأمتة لا يستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ما جاء به ، ولا يتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصه الله عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم به أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا أنه باطل كذبوه ، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس أو اليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الاتحاد والابتداع ، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول

الله ﷺ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة المسلمين الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة . الى أن قال : ولما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته ، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمته أخذوه عن نبيهم مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال فى الفرع فهو من الأصل المعلم ، وهذا يقتضى أنه كان أكمل الناس علما ودينا ، وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بانه كان صادقا فى قوله إني رسول الله اليكم جميعا . انتهى ما أردنا نقله من كلام شيخ الاسلام ، فانه نفيس جدا

فصل آخر من كلام شيخ الاسلام

من (الجواب الصحيح) بسطه فلخصنا منه ما يلي :

لما ذكر الاحاديث الكثيرة فى آيات النبي ﷺ ومعجزاته وبراهين رسالته وما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية وما حصل بسببه من أصناف القدرة وأنواع الأفعال وإجابة الدعوات وغيرها قال : وعامة ما ذكرناه من آيات النبي ﷺ التى فى الصحاح هى من موارد إجماعهم المستفيضة عندهم التى يجزمون بصدقها ، ليست من موارد نزاعهم ، فهذا طريق يسلكه من عرفه من العلماء ، ويعلم خيرة أهله من كان خيرا بهم . فهذه طريقان فى تصديق هذه الآثار التواتر العام والتواتر الخاص * الطريق الثالث التواتر المعنوى وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف ، فان الناس قد يسمعون أخبارا متفرقة يشترك مجموعها فى أمر واحد . ثم مثل بالأخبار عن مشاهير الرجال المتقدمين والمتأخرين ثم قال : فهذه الأحاديث وأضعاف أضعافها هى أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء المشاهير ، ونقلتها أجل وأكثر

وأفضل من نقلة هؤلاء ، وهى كلها تتضمن أن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه كان
يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يعرف
نظيره عن أحد من الناس ، وعلمُ المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب
بما ينقلونه عن آيات موسى وعيسى وغيرهما ، فإن نقلة آيات محمد صلوات الله عليه غير
القرآن أضعاف أضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من أخبار
الأنبياء . ثم ذكر الطريق الرابع ، وأن كثيرا من هذه الآيات تكون بمحض
الخلق الكثير ، كتكثير الطعام يوم الخندق ونبع الماء من بين أصابعه
يوم الحديبية وتكثير الماء والطعام فى غزوة خيبر وفى تبوك ، وكانوا أوفاء
مؤلفة وكانوا يتناقضونها متفقين عليها مصدقين لها من غير انكار أحد منهم
لذلك ، فعلم قطعا أن القوم كانوا متفقين على نقل ذلك كما هم متفقون على نقل
القرآن والشرعية المتواترة . ثم ذكر الطريق الخامس ، وهو أن مصنفات
أهل العلم من أهل التفسير والحديث والفقه والسير والتواريخ مشحون كل
منها بذكر الآيات متواتر فيها ، ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم
اليقيني فكيف بما ينقله كل طائفة من هذه الطوائف . وهذه الطريق وغيرها
يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام للآيات الخارقة للعادة وهذا أقل
ما يكون ، ويستدل بها على تواتر جنس جنس كتواتر تكثير الطعام
وتواتر تكثير الطهور والشراب ، وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء
من بين أصابعه وتواتر إشباع الخلق العظيم من الطعام القليل ، وتواتر شخص
شخص منها كتواتر حنين الجذع إليه وأمثال ذلك ، وكلها أمعن الانسان فى
ذلك النظر واعتبر ذلك بأمثاله وأعطاه حقه من النظر والاستدلال ازداد
بذلك علما ويقينا ، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم
بالأخبار المتواترة ، فليس فى الدنيا علم مطلوب بالأخبار المتواترة إلا والعلم
بآيات الرسول وشرائع دينه أظهر من ذلك ، وما من حال أحد من الأنبياء
والملوك والعلماء والمشايخ المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته إلا والعلم بأحوال

محمد ﷺ أظهر من العلم به وأبين ، ونقله أكمل وأتم ، وهذا مما يبين أنه ليس في الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة إلا وآيات الرسول وشرائعه تعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم ذلك الأمر تحقيقاً لقوله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه ، وذلك إنما يتم بما ينقل عن محمد ﷺ من آياته التي هي الأدلة ، وشرائعه التي هي المدلول المقصود بالأدلة ، فهذا قد أظهره الله علماً وحجة وبيانا على كل دين كما أظهره قوة ونصراً وتأييداً على كل دين ، كما أنه مامن دليل عقلي يستدل به على مدلول إلا والأدلة على آيات الرب أكثر وأكثراً ثم ذكر الطريق السادسة أن العلماء قد صنّفوا مصنفات كثيرة في آياته وبراهينه المنقولة في الأخبار ووجدوا لذلك كتباً وذكر طائفة منها ، إلى أن قال : والمقصود هنا أن تواتر أنواع آياته المستفيضة في الأحاديث أعظم من تواتر أمور كثيرة هي متواترة عند الأمة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث ، وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة من القرآن ، فإن تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط في غير هذا الموضع ، حتى يتبينوا أن ما في القرآن من الآيات يزيد على عشرات ألوف من الآيات ، وهذان غير ما في كتب أهل الكتاب من الأخبار به ، وهذه الأجناس الثلاثة غير ما في شريعته التي بعث بها وغير صفات أمته وغير ما يدل من المعرفة بسيرته وأخلاقه وصفاته وأحواله وهذا كله غير نصر الله وإكرامه لمن آمن به ، وعقوبته وانتقامه من كفر به ، كما فعل بالأنبياء المتقدمين ، فإن تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا الاحاطة به ، إذا كان الإيمان به واجبا على كل أحد فبين الله لكل قوم بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين ، كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول . وأطال الكلام ، فمن

أراد بسط هذه المواضع فليرجع اليه في (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) فإنه بسط فيه الكلام وشرحه شرحا تاما رحمه الله

فصل

قال الله تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾ وقال تعالى ﴿وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ والآيات في هذا كثيرة ، وهذا من أعظم براهين الدين وأنه كله حق وأن مسأله الأصولية والفروعية حق ومحتوية على الحق ، وأن دلائله وبراهينه تهدي السبيل وتوضح الحقائق ، وأن النقل فيه هو أعلى درجات الصدق ، خبر الله وخبر رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى . وقد تواتر نقل كتاب الله تواترا لا نظير له بحيث نقلته الأمة كلها كل قرن أداء الى القرن الذى بعده محفوظا لا تغيير فيه بوجه من الوجوه ، وتواترت عن النبي ﷺ أصول الدين كلها والشرائع الكبار ، والنقلة أصدق الخلق وأعظمهم تحريا للصدق وأبلغهم معرفة بطرق الصدق من الكذب ، ولهم من العناية التامة فى معرفة الصحيح من الضعيف والحق من الباطل والخبرة والمعرفة ما لا يقاربهم فيه أحد ، فهذا نقل هذا الدين ، وأما نظريات هذا الدين فكلها حقائق ثابتة حقة اتفق عليها النقل والعقل الصحيح ، فجميع الحقائق الثابتة فى دين الاسلام لا يستريب أهل العقول الصحيحة فى صحتها ، ومن ظن سوى ذلك بين بالأدلة الصحيحة فساد نظره وعقله . ومن تتبع هذا الأصل فى جميع موارده ومصادره فى أصول الدين وفروعه وتأمله حق تأمله عرف بذلك عظمة هذا الدين وأنه الحق فى مسأله وبراهينه ، وأنه محكم متقن لا اختلاف فيه ولا تناقض ، بل يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، ومن امتزى فى هذا أو

كأبر فليات بمثال واحد من حقائق هذا الدين يخالف هذا الأصل ، ولن يستطيع الى ذلك سبيلا . وأما الأمور المناقضة لهذا الدين فانها إما نقول كاذبة ، وإما نظريات خاطئة . واعتبر هذا بجميع النظريات التي راجت في هذه الأوقات في التكلم عن سلسلة الموجودات بمجرد الخرص والقياسات المختلة والتجارب التي تطرد ثم تنقض ، هل تجد فيها نظرية واحدة استقر عليها رأى جميع العقلاء ، بل يقولها المبتدئ لها ظنا واستنباطا ويتلقاها المقلدون له المعظمون له لا عن بصيرة ، ثم يأتي من بعدهم فيفندوها ويحدث له نظرية من هذا القبيل ، وهكذا تنتهي بهم هذه الأفكار الى المكابرة والسفسطة ، وهذا شأن كل ما خالف الحق ، قال تعالى ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ وهذه النظريات التي ابتكروها والتحليلات التي ابتدعوها وعارضوا بها ما جاءت به الرسل من البراهين القطعية من أكبر ما يدل على جهلهم البليغ ومكابرتهم للمعلومات ، وهي من أكبر الأساسات التي تعود على علومهم بالابطال ، فان من بعدهم يأتي على نظرياتهم التي اذا وجه اليها أدنى نظر فيبطلها فلا يبقى للعلوم قيمة ولا للحقائق الصحيحة قدر ، وتصير المعلومات فوضى تقذف بها زبد الأفكار ولا يستقر لها قرار ، وهذا معروف بالتبعية والاستقراء . أما حقائق ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم من أصول الدين وفروعه فانها ثابتة الأصول محكمة ، دلت عليها البراهين القطعية المتنوعة ، ووجه الله عقول العقلاء وذوى الأبواب والبصائر الى النظر فيها ، فازدادت بها معارفهم ورجحت عقولهم ، واطمأنت قلوبهم بما عرفوا من الحق ، وعلوا علم اليقين إجمالا وتفصيلا أنه مستحيل أن يرد الشرع بما يخالف العقل وينافيه أو توجد المحسوسات والمعقولات مناقضة لما أخبر الله به في كتابه ، وأخبر به رسوله محمد ﷺ الذي هيمنت شريعته على جميع الشرائع واحتوت على جميع الحق الذي فيها وأبطلت ما حرّف منها وزيد ونقص ، وصدّقت جميع المرسلين ، وصار أكبر طريق حصل به تصديق

الرسول وصحة رسالتهم هو ما جاء به إمامهم وسيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه
وعليهم أجمعين ، وتَبَيَّنَ لكل عارف منصف أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله
هو الحق في أخباره وأحكامه ، فكما أن جميع أخباره صدق وحق ويقين ،
فأحكامه كلها حق وعدل وقسط وصلاح للدنيا والدين ، قال تعالى ﴿ وتمت
كلمات ربك صدقا وعدلا — ومن أصدق من الله حديثا — ومن أصدق من
الله قيلا — ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ والحمد لله الذي جعل
كتابه وشريعته هدى من الجهالات ، وشفاء من أمراض الشكوك والشبهات
والشهوات ، ورحمة تحصل بها جميع الخيرات ، وتبيانا لكل شيء يحتاجه البشر
في الأمور الجليات والخفيات

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا

قال ذلك وكتبه الفقير الى الله في كل أحواله عبد الرحمن بن ناصر بن
سعدى غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين . ببلدة عنيزة من الديار
النجدية في ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٧

فهرس

صفحة	
٣	خطبة الكتاب
٣	وجوب التعاون على جميع المنافع الكلية وخصوصاً الجهاد
٤	أقسام الجهاد وأنواعه
٥	الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة
٧	الفرق العظيم بين رجال الدين وبين المخذلين المرجفين
٨	وجوب المشاورة في كل الامور الكلية وفوائدها
١٠	وجوب الاستعداد للاعداد بكل قوة وأخذ الحذر منهم
١٠	الوجوب يتعلق بقدر القدرة والاستطاعة
١٢	وجوب الاجتهاد في فعل الاسباب النافعة مع التوكل على الله والاستعانة به
١٢	معرفة أحوال الأمم ودرسها ومعرفة سياساتها داخل في الجهاد
١٣	من الجهاد القيام بالقسط والوفاء بالعهود
١٥	ربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الاسلامية من الجهاد
	في سبيل الله
١٧	الاعتناء بالتربية والتعليم من أصول الجهاد
١٨	من الجهاد ورعاية الامانة تخير الاكفاء من الرجال في الولايات والاعمال
٢٠	شرح محاسن الدين الاسلامي وبيان عقائده وأخلاقه وأحكامه وإصلاحه
	من أعظم الجهاد
٢٣	نبذة من أخلاقه وأوصافه <small>صلى الله عليه وسلم</small> وشيء من سيرته الدالة على أنه رسول
	الله حقاً وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الإيجاز
٢٩	ذكر البراهين من الكتاب والسنة الدالة على ربوبية الله ووحدانيته
	وصلق رسوله وصحة دينه
٣٠	من براهين الدين الاسلامي ما أخبر به من الغيوب المتنوعة

صفحة	
٣٤	نوع من الاخبار بالغيوب
٣٧	فصل : التجددى بالقرآن
٣٨	فصل : الآيات الشاملة لكل ما خافه الله ويخلقه وعله الانسان من أصناف المخترعات
٤٠	الكهرباء وأعمالها ونتائجها
٤٢	فصل : اخباره بأن سنته فى خليقته جارية على مقتضى الحكمة
٤٣	فصل : من علوم الغيب التى أنبأ بها الاسلام أن لاهداية للبشر ولاصلاح الابه
٤٤	فصل : من براهين أن الاسلام هو الحق جمعه الامم المتباينة والطوائف المتعادية فصاروا به اخواناً متحابين
٤٥	فصل : من براهينه ما خبر به من أنه آيات لقوم يعقلون ، فخط العقلاء منه على قدر عقولهم
٤٦	فصل : من براهينه اخباره بما تفعله هدايته فى القلوب والارواح والاخلاق
٤٧	فصل : تواتر فصوص السنة على اخباره بالامور المستقبلية ووقوعها كما أخبر
٤٩	فصل : قوله تعالى ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين﴾
٥٠	فصل : د د ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾
٥١	فصل : من براهين الاسلام أنه حكيم محكم فى أصوله وفروعه
٥٣	فصل : من براهينه أنه أمر بالايان بجميع الرسل وبما جاءوا به من عند الله
٥٦	فصل : قوله تعالى ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾
٥٧	فصل : من براهينه اخباره عن أمور الغيب بما ينفع الناس فى يقينهم واصلاح أخلاقهم
٦٠	فصل : قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾
٦١	فصل : قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾
٦٢	فصل : د د ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾
٦٣	فصل : من كمال هذا الدين وإحاطته أن القرآن ما فرط الله فيه من شيء

صفحة	
٦٥	فصل : من براهين هذه الشريعة أنها جاءت بالعدل والقسط ، وحشت على الاحسان والفضل
٦٦	فصل : قول شيخ الاسلام ابن تيمية ان سيرة الرسول وأخلاقه من آياته وأمته من آياته
٧٠	فصل : قول شيخ الاسلام ان آياته ﷺ التي في الصحاح هي من موارد إجماعهم
٧٣	فصل : قوله تعالى ﴿ وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ﴾

تم

﴿ والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ﴾

للمؤلف :

تنزيه الدين وحملته ورجاله

مما افتراه القصيمي في أغلاله

هو كتاب للمؤلف تم طبعه ونشره في العام الماضي رد به على كتاب
(هذى هي الاغلال) الذي صنفه عبد الله بن علي القصيمي ، ونبهه
على ما فيه من نبذ الدين والدعاة الى نبذه والانحلال عنه من
كل وجه

وهو في ٤٨ صفحة

وقد طبع على نفقة وجيه الحجاز وفاضلها

الشيخ محمد نصيف

للمؤلف تحت الطبع :

الحق الواضح المبين

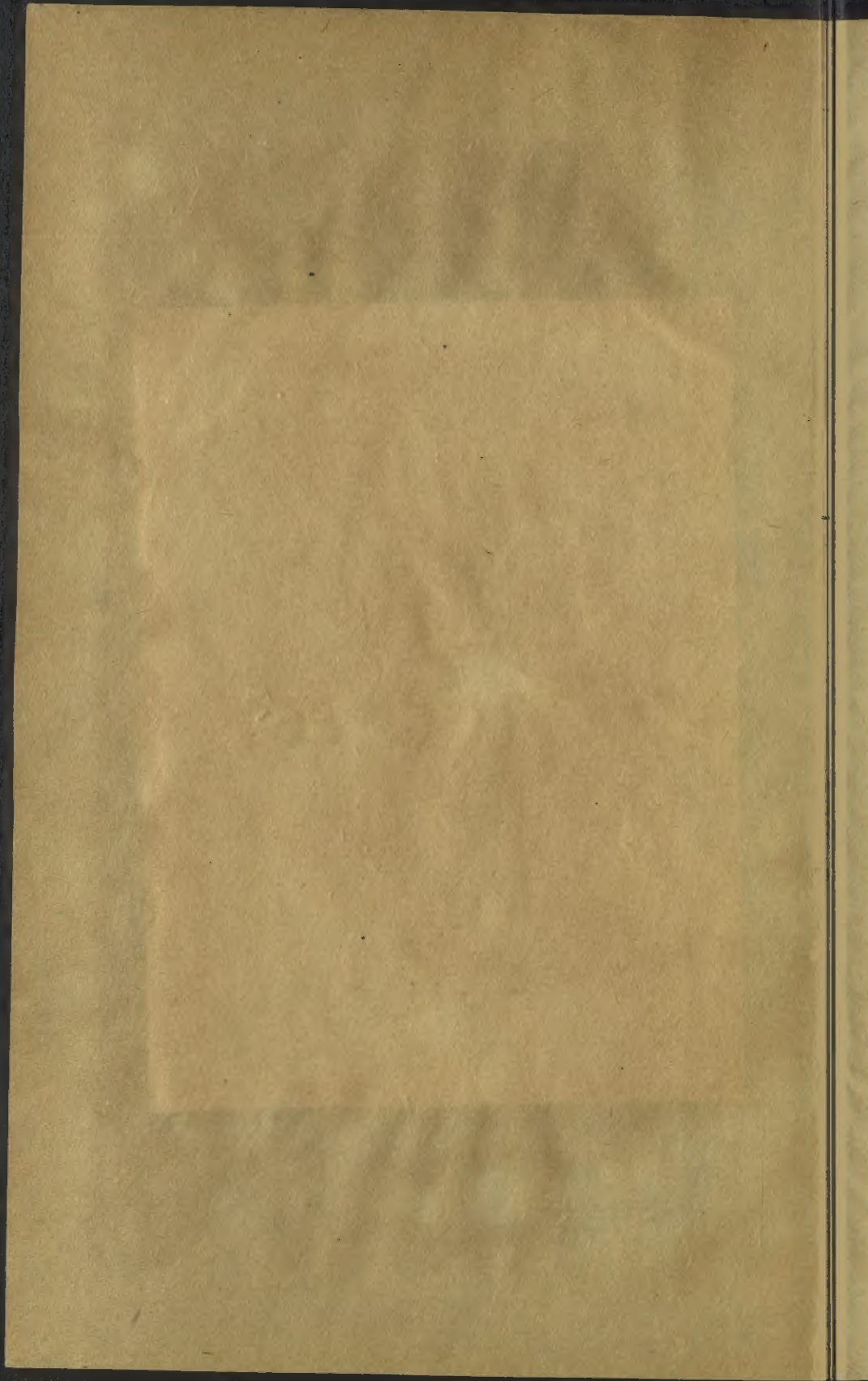
في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين

من (الكافة الشافية) للامام شمس الدين ابن القيم
هو شرح متوسط استوفى أغراض الناظم وأبان عن مقاصده
وسيصدر عقب هذا ان شاء الله

توضيح (الكافية الشافية)

في الانتصار للفرقة الناجية

أوضح فيه معاني نونية الامام شمس الدين ابن القيم قدس
الله روحه ، وهو عديم النظير في استيفائه لأصول الدين ،
والرد على الجهمية والمعتزلة والملحدين ، بالنقول الصحيحة
والأصول السلفية والقواعد الصريحة



American University of Beirut



General Library

297.39:A31wA:c.1

آل سعدى ،عبد الرحمن بن ناصر
وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005503

American University of Beirut



297.39

A31w A

General Library

297.39
A31wA
C.1